صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE



دمشق ـ ص . ب (٢٥٧٠) هاتف ٣٦٢٩١

السنة السادسة

العدد السابع

آذار ١٩٦٥

لو كنت في مدريد

لو كنت في مدريد في رأس السنه
كنا سهرنا وحدنا
في حانة صغيرة
ليس بها سوانا
تبحث في ظلامها عن بعضها يدانا ..
كنا شربنا الخمر في أوعية من الخشب ..
كنا اخترعنا ـ ربما ـ جزيره ..
أحجارها من الذهب ،
أشجارها من الذهب ،
تتوجين فوقها أميره ..
لو كنت في مدريد في رأس السنه
كنا رأينا كيف في إسبانيا
أيتها الصديقة الأثيره
تشتعل الحرائق الكبيره
في الأعين الكبيره ،
كيف تنام الورده الحمراء في الضفيره ،
كنا عرفنا لذة الضياع في الشوارع ..
وجوهنا تحت المطر ،
ثيابنا تحت المطر
كنا رأينا في مغارات الفجر
كيف يكون الهمس بالاصابع ،
والبوح ، والحوار ، بالاصابع
وكيف للحب هنا
طعم البهار اللاذع .
لو كنت في مدريد في رأس السنه
كنا ذهبنا آخر الليل الى الكنيسه ،
كنا حملنا شمعنا وزيتنا
لسيد السلام والمحبه ،
كنا شكونا حزننا اليه ،
كنا أرحنا رأسنا لديه ،
لعله في السنة الجديدة ،
أيتها الحبيبة البعيده
يجمعني اليك بعد غربه
في منزل جدرانه محبه
وخبزه محبه ..
لو كنت في مدريد في رأس السنه
كنا ملأنا المدخنه
عرائساً ملونه
لطفلة دافئة العيون
نعيش ياحبيبتي بوهمها
من قبل أن تكون ،
نبحث يا حبيبتي عن اسمها
من قبل أن تكون ،
وننتقي ثيابها
ونشتري ألعابها
من قبل أن تكون ،
كنا صنعنا تختها الصغير من ظنون
تختاً من الأحلام والقطيفة الملونه
تنام فيه ـ ربما ـ بعد سنه .
لو كنت في مدريد في رأس السنه ...

نزار قباني

من خصائص التفكير

بقلم : بديع الكسم

التفكير بالمعنى الواسع للكلمة يعني جملة العمليات النفسية التي نجريها في داخلنا ، أو التي تجري من تلقاء نفسها . فنحن نفكر حين نتذكر او نتخيل ، وحين نحب أو نحقد ، وحين نشكو أو نقرر ، وحين نتطلع أو نصمم . ان هذا المفهوم الواسع الفضفاض للتفكير هو المفهوم الذي قصده ديكارت عندما قال : « أنا أفكر فأنا اذن موجود . » ، وعندما استخلص من قوله هذا انه جوهر ماهية التفكير . وعلى ذلك فالانسان يفكر حتى حين يكذب على الحقيقة والتاريخ ، هو يفكر حتى حين يصدق الاكاذيب وينخدع بالكلمة الزائفة .

ولكن للتفكير معنى آخر ، أخص واعمق ، معنى ألصق بحقيقته وأدل على شرف غايته . فهو امتناع عن الانسياق الآلي ، ومقاومة للاستسلام الرخو . وعين مفتوحة يقظة التفكير هنا يعني التروي والتبصر ، ويعني الاعتصام بالعقل والمبدأ .

انه أولا تنبه ، لان الفكر لا ينشط الا اذا أحس بالعقبة ، الا اذا جابه الصعوبة واصطدم بها . ونستطيع ان نقول عنه ، كما قال القدماء عن الفلسفة ، انه وليد الدهشة أو الشك أوالشعور بنوع من الضيق الداخلي ، يسد علينا دروب التفتح والسكينة الروحية .

فالدهشة التي يثيرها فينا الوجود الكلي ، منطلق التفكير الفلسفي ، والدهشة التي يخلقها فينا الخطأ والتناقض واللا معقول ، منطلق التفكير المنطقي ، والدهشة التي نحس بها عند تأمل ظواهر الطبيعة والحياة الانسانية منطلق التفكير العلمي . والشك ايضا منبع رئيسي من منابع التفكير ، بل هو الخطوة الاولى من خطواته . فلا بد لنا ، لكي نفكر ، من أن نشك أولا بما يقال لنا افتراء انه حقيقة . والقاعدة الذهبية للتفكير هي ألا نقطع الشك الا باليقين .

ونحن نفكر ايضا عندما نرى أن الامور ليست في مواضعها . فالشر بأشكاله المختلفة ، كالظلم والحرمان وامتهان الكرامة وطعن المقدسات ، دافع ثابت من دوافع التفكير الانساني ، ذلك أنه يولد فينا شقاء الضمير وعذاب الروح . وهل يحفزنا الى التفكير كما يحفزنا اليه عذاب الروح ؟

كل هذا يعني أن التفكير يبدأ بوقفة أمام العقبة . بتنبه لوجود المشكلة . ولكن التفكير ليس مجرد وعي المشكلة ، وانما هو جهد لحلها . اننا لا نفكر الا عندما نحاول اجتياز العقبة التي عطلت سيرنا . وهذا مايجعلنا

منذ الآن نسقط من دائرة الفكر ، بالمعنى الخاص للكلمة ، كل محاولة تقنع باثارة المشكلات . ذلك أن التفكير ليس مجرد اشارة الى الصعوبة ، ولا مجرد طرح للمشكلة أو وصف لها . اذ هل يكفي أن يقال اننا أمة مجزأة أو ان الاستعمار يتآمر علينا حتى نسمي هذا القول فكرا ؟ ليس الفكر فكرا اذن الا حين يبحث عن الحل ، حين يستجمع قواه ليهدم العقبة .

بل اننا نذهب الى أبعد من ذلك ايضا في تحديد معنى الفكر ، فنحصره في جملة الحلول والاجوبة الناجزة فعلا . ذلك أن التفكير الذي لا يزال يتلمس حل مشكلة تعترضه ، ليس الا تفكيرا في طور التكوين ، الا محاولة لان يكون تفكيرا حقا . وهو لن يصبح كذلك الا اذا انتهى الى الحل ووقف عنده . قولوا ان شئتم ان التفكير لا يولد فكرا الا اذا بلغ غايته ، أي الا اذا كشف عن سر المشكلة التي يتصدى لحلها . والتفكير هو الحكم كما قال « كانت » . والحكم توكيد لعلاقة ، اثبات لفكرة ، تقرير لنتيجة . والمفكر مفكر حقا اذا كان يحمل الينا افكارا نضجت في ذهنه اذا كان يوضح لنا روابط كانت غائبة عن ادراكنا ، اذا كان ينقلنا من الغموض الى الوضوح ، ومن التخبط الى التبصر ، وبكلمة موجزة اذا كان ينقلنا من السؤال الى الجواب .

ها نحن في خطوة أولى قد حددنا الفكر بأنه تحسس بالمشكلة ومسعى لحلها ووصول مطمئن واثق الى هذا الحل . وهنا تجدنا مضطرين الى ان نسقط من دائرة الفكر مرة ثانية ، جميع التلمسات الاولية التي تدور حول المشكلة ولا تنفذ اليها ، وجميع الجهود الفاشلة التي تضمحل قبل أن تثمر .

فالفكر اذن من حيث هو متجسد في الحكم ، انتصار على الشك وامتلاك لحقيقة . واذا ربطنا بين الفكر والحقيقة فقد فصلنا بينه وبين الخطأ . الفكر الخاطيء ليس فكرا ولا شبه فكر . انه تعثر . انه سقوط وضياع . ذلك انه بدلا من أن يدفع البحث الى قمته يقذف به الى الهاوية . وهذا يعني أن الفكر ليس مجرد الوصول الى نتيجة ، أية نتيجة ، بل الى نتيجة صادقة ، نتيجة يفرضها البحث وتفرض نفسها على البحث . ومن هنا كان المفكر بالتعريف سادنا للحقيقة أو راعيا للحقيقة . وكل راعٍ مسؤول عن رعيته . فالمفكر اذن مسؤول ، والفكر اذن مسؤولية ولكن المسؤولية عبء لا يحمله الا الاحرار . انها تفترض الحرية وتزول بزوالها . الفكر اذن حرية ، والمفكر الحر هو وحده المفكر . وهنا لا بد لنا ان نسقط من عالم الفكر كل فكر زائف تخلى عن حريته.

ذلك أن من باع حريته فقد ايمانه بالحقيقة . وكل من لا يصدر في احكامه عن حرية داخلية ، عن قناعة وجدانية لا يمكن ان يكون وفيا للحقيقة . انه اذا أعلنها مرة اخفاها مرات . ولكنا قلنا ان المفكر راعٍ للحقيقة ، وقصدنا بذلك انه راع للحقيقة في شمولها، أي لكل حقيقة .

كل هذا يدل على أن الفكر الذي لا ينفصل عن الحقيقة ولا عن المسؤولية ولا عن الحرية ، لا ينفصل ايضا عن القيمة . ونقصد بذلك ان للفكر شروطا اخلاقية ان هي انعدمت انعدم الفكر نفسه . الا تحمل لفظة الفكر نفسها معنى التجرد والنزاهة وسعة الصدر؟ بل الا توحي لنا ، اذا اخذناها في صفائها ونقائها معنى المحبة ، الفكر محبة لانه تطلع الى النور . لانه تفتح داخلي . لانه عطاء . وهل يستطيع احدنا حقا ان يتصور المفكر الاصيل الذي آمن بالحق والحرية ، انسانا خبيث الطوية حقير المقاصد؟ الحق اني لا استطيع ذلك ولا أظن انكم تستطيعون .

البقية على الصفحة (٤٠)

الجمالية في اللفظة العربية والشعر العربي

- ١ -

بقلم : حامد حسن

جمعت لغة العرب من الخصائص وتوفر لها من المميزات ، مالم يجتمع ويتوفر في لغة من لغات العالم ، قديمة وحديثة • لان اللغة العربية أخذت عن اخواتها الساميات خير ما فيهن من الالفاظ والتعابير ، والمصطلحات • لانها أحدثهن انفصالا عن اللغة الام •

واللفظة العربية تمتاز عن غيرها من ألفاظ اللغات الاخرى بأنها تستدعي اختها استدعاء لحيفا لتقف الى جانبها بواسطة « المتعلق » وروابط الكلمات والجمل • وأدوات الفصل والوصل ، وهي الى جانب كل هذا تحتمل المعنيين : المعنى المباشر ، وهو المعنى الذي وضع لمفهوم اللفظة منذ نشوئها • والمعنى المجازى : وهو كما يدل عليه اسمه ، أي ماتجاوز الحقيقة الى ما يقابلها ، لرابط بين المعنى الحقيقي وبين هذا المقابل •

ولقد ادخلت العصور الحديثة والتطور الحضاري على اللفظة العربية ظاهرة « التجسيد » ووسعت عالم طاقتها ، وفجرت هذه الطاقة ، فخلقت عوالم من الصور ، وكونت دنياوات من الاحاسيس ما كانت تحملها اللفظة العربية من قبل • وهذا ان دل على شيء فانما يدل على مرونة اللغة العربية ، واستجابتها لمتطلبات الحياة ، ومقتضيات الحضارة ، وانها كائن حي نام خاضع لنواميس التطور ، وقوانين الارتقاء • هذا بالاضافة الى ما يتحلى به الذهن العربي من نقاء وصفاء ، وتفتح وانطلاق ، وتمرد وانعتاق من حدود المادية الضيقة • مما توجبه طبيعة البيئة الصحراوية ، المتفتحة الآفاق ، الملونة الجواء المترامية السعة والابعاد •

وهكذا نرى كيف اجتمع للعربي جمال التعبير الى سعة الخيال وخصبه • وحرارة العاطفة وتوقدها ، وامداء التطلع والتشوف ، فكانت البلاغة والاقناع وبلغ القول غايته الجمالية • والجمالية والاقناع هما كل ما ترمي اليهما أغراض التعبير في كل اللغات •

وانك لتجد فيماتركه العرب من أشعارهم وأقوالهم اللفظة المأنوسة المعبرة المسؤولة عن رسالتها في الجملة ، والجملة الصحيحة المسؤولة عن دورها في تأدية الفكرة ، وغناء الصورة • تتساوق كلماتها ، وتتناغم حروفها • يضاف الى هذا تزاوج في الجمل المترادفة على المعنى الواحد ، لزيادة ايضاحه • وتركيزه

في الذهن ، وتلوينه ، وعرضه بصور متعددة . كما تجد التوازن والتوافق بين هذه الجمل والتجاوب الموسيقي . وكل ذلك يشترك اشتراكا مباشرا متساويا، ويتوزع توزيعا طبيعيا محكما ليعطينا المعنى المراد .

والآن وبعد هذا التمهيد لنعط المثال على صحة ماتقدم . ولنأخذ هذين البيتين :

ولماذا نزلنا واديا طله الندى
حييا ، وبستانا من النور حاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه
مُنىً ، فتمنينا . فكنت الامانيا

ولبيان الجمالية في هذين البيتين يجب أن نركز دراستنا على ثلاثة عناصر :

١ ـ البناء النغمي أو الموسيقي ، ومدى تناسقه مع التوتر النفسي ، وقوة حركته وموجانه .

٢ ـ البناء التناسقي . ومداره تداعي الكلمات وتآخيها ، وتماسكها .

٣ ـ البناء المنطقي أو عمل العقل المنظم .. ، وآفاقه حسن العرض ، وغناء الصور ، وتلوينها .

وعلى ضوء هذا سنتلمس الجمالية في هذين البيتين ، ومدى الشحنة العاطفية والوجدانية التي يحملانها والاثر الذي يتركانه في النفس ، ونرى هل توفرت هذه البنائية ، وما هي النسبة لكل منها ؟

أولا : اننا نجد « التشديد » المتعطش الذي يعني « التوقف » لخلق شحنة من الاستثارة وتعميقها في سبعة مواضع من البيتين ، وفي الألفاظ التالية : « ولمّا ـ طلّه ـ الندى ـ حييًّا ـ النّور ـ أجد ـ فتمنّينا » .

ثانيا : نجد الاطلاق في الالف الساكنة المفتوح ما قبلها في خمسة عشر موضعا : « ولمّا ـ نزلنا ـ واديا ـ النّدى ـ حييًّا ـ وبستانا ـ حاليا ـ لنا ـ المكان ـ منى ـ فتمنينا ـ الامانيا » .

ثالثا : نجد بوحا هامسا في لين الواو والياء الساكنتين في لفظتي النور ، وطيب ، وفي ضمة الهاء من لفظة « حسنه » المشبعة . مما يشكل كله خطا بيانيا متعرجا للتوتر النفسي الداخلي والفترات الزمنية التي تستغرقها الذبذبات والاصوات في اغوار النفس، صاعدا مع الضمة واشباعها ، منسابا ، ممتدا مع الفتحة ، مستقيما صلبا مع التشديد والسكون ، هابطا رقيقا مع الكسرة .

ولعلك لم تفتك هذه الانات التي تبعثها فيك هذه النونات المتعاقبة في شطر البيت الثاني : منى ، فتمنينا، فكنت ، الامانيا ، فهذه الغنة التي يحدثها هذا الحرف النغيم تعطينا صورة صوتية مهموسة منغومة لما يعتمل في أعماق النفس من انفعالات .

ولعل في قول البحتري الذي يصف به تموج الشمس على زجاج حيطان القصر الكامل (أحد قصور الخلافة في بغداد) وتشبيهه بأمواج البحر خير مثال للتجسيم الصوتي .

وكأن حيطان الزجاج بجوه
لجج يمجن على جنوب سواحل

فهذا الاجيج الذي يحدثه حرف الجيم في البيت يجسم لك صوت الامواج في ساحل البحر .

هذا من ناحية البناء النغمي أو الموسيقي وتجاوبه مع خلجات العاطفة والوجدان . ولننتقل الآن الى الالفاظ فنلاحظ رقتها وعذوبتها وحيويتها ووضعها

البقية على الصفحة (٢٤)

مخلوقان عجيبان

قصة بقلم : فارس زرزور

زحفت من بطن الجبل كتلتان بلون الصخر ، لهما أربع عيون سوداء كبيرة ارعشتا أهداب عيونهما في وجه الشمس ثم نفضتا عن هيكلهما غبار الرمل ، ودون أي معجزة أو انفعال خاص تحولتا الى آدميين.. كانا نادرا مايرفعان رأسيهما ، ولكنهما فعلا هذه المرة، فضرورة الحال كانت تقضي بذلك ، فقد أحسا انهما معلقان في الفضاء والارض تحت أقدامهما غير ثابتة ، وألم برأسيهما دوار غريب ، فأغمضا عيونهما وهما يتمثلان الموقف ، سأل الاول بتهيب كبير :

ــ كيف اصبحنا هنا . ؟

ورد الآخر محاولا ان يعطي اجابة صادقة قدر المستطاع :

ــ في الحقيقة .. لا ادري ..

هالهما أن يريا المدينة الجبارة على هذا الشكل غير الطبيعي . كانت في الماضي تبدو لمداركهما رهيبة غامضة ، أما الآن فقد استحال على عقليهما أن يجدا لهذه الظاهرة الفريدة صنعة أو تغيرا . عندما طرح الاول سؤاله ، لم يكن ليعني مدلول الكلمات التي باح بها ، كان يقصد أن يقول مثلا :

« ترى هل في مقدورنا أن نرجع الى اوكارنا.؟»

أو يورد تعريفا نادرا بهذا المحيط الأسر الذي لم يألفه في حياته ، أو تعبيرا خاصا عن شعوره ازاء هذه السرمدية المطلقة ولكن خانه الفهم قبل أن يخونه التعبير ، وعندما أجاب الثاني بعدم قدرته على التفسير كان يدرك جيدا ماكان يقصده رفيقه ، وبما أنه عانى بشعور نفسه ، فقد كان موفقا عندما رد : (في الحقيقة لا ادري) .

ان كلا منهما يعرف جيدا كيف وصل الى بطن الجبل . ولم يكن ذلك بفعل أيد سحرية : وقوة خفية فقد حمل الاول من باب الجابية على ظهر عربة يجرها بغل ، وتلاه الآخر من الزرابلية على عربة مشابهة ...

ثم التقيا هناك دونما سابق خطة أو ترتيب ، وقد انتقاهما متعهد بناء له خبرة واسعة باصحاب العضلات والهياكل القوية ، ليحفرا بطن الجبل ويستخرجا منه الرمل ، وعند الظهيرة أستغنى فجأة عن خدماتهما بعد أن قاما بمهمتهما على خير مايرام .

كانا فلاحين من حوران ، من تلك الجموع الاخرة الهائمة التي هاجمها غول الجفاف سنين متعاقبة . فتركت اراضيها للدود واكتسحت طرقات المدينة لتعيش في منافذها واسواقها الضيقة، ولتقوم بالاعمال التي تكفل لها سد الرمق ، والمحافظة على استمرار الحياة ، دونما قيد أو شرط . أو أي اعتبار من الاعتبارات التي تمس الشخصية والكرامة والطاقة الجسدية ، فلم يكن لهذه العناصر ، مجتمعة أومتفرقة، أي شأن في حساب أحد ، فهي الرأسمال الوحيد الذي يمكن طرحه للبيع دون أعتبار لجدول الارباح والخسائر ..

حين أفاق الفلاحان على ادميتهما ، وطرقا اجفانهما

في وجه الشمس ، شاهدا السماء بمقلهما المرملة تتلون بألوان تغري بالانطلاق من أي حيز وفكر كل منهما في أن يصبح شيئا خارقا لا يمكن تحديده • ولو كانا من قليلي الخبرة • لاثرا أن يتحولا الى طائرين أو شاعرين أو شيء من هذا القبيل ، ولكنهما رجعا الى واقعهما في أقل من لمح البصيرة :

(ينبغي أن نكسب الوقت ونبحث عن مستأجر جديد) •

كانت شمس الظهيرة قد ارتكزت في كبد السماء لا تريم : وكأنما ادركها التعب فتوقفت لينعم بها الكون بأسره ، وعلى جميع الابعاد كانت المعالم تذوب مع بعضها لتشكل معابد جديدة لم يسبق لأي منهما أن حلم فيها ، والى الجنوب •• اقصى الجنوب نخيلا الارض لم يكن هناك افق كالافق الذي يعهد !انه فزرقة السماء لم تكن ممتزجة بسمرة التراب كما يحدث عادة عندما كانا في الماضي يطلان بعيونهما من وراء المحراث • لم يكن هناك شيء •• ظلال • مجرد ظلال باهتة لا لون لها • كانت الوانا لطيفة رائعة ولكنها فارغة لا توحي بالشبع وفكر كل منهما بصمت:

« أنا •• من أنا • ؟ وفي أي مكان أوجد ؟ يبدو أنني عاجز عن أن اقيس نفسي الى هذا العالم •• الى هذا العدم •• انني لا افهمه • لا بد انني عظيم وتافه بآن واحد ولهذا لا استطيع أن اعرف أهميتي •• » •

ولم يدم تفكيرهما هذا غير لحظة قصيرة ، فرضاها فرضاها استراحة كانا في غنى عنها ، ثم مالبثا أن فهمنا شرعا في هبوط الجبل • وكان بمقدورهما أن يوفرا الجهد الذي بذلاه من أجل الاسراع ، فلم يدخل في حسابهما يوما أن يهبطا مرتفعا اذ لم يصلا ابدا الى الى قمة •• من أجل هذا وجدا نفسيهما يهرولا دون أن يتمالكا اقدامهما أو يحدا من سرعتها المتزايدة • وتجاوزا سطوح المنازل الاولى وهما يضحكان ويهرجان ثم سقطا في حفرة كالبالوعة ظهرت أمامهما بغتة ، أو وجدا نفسيهما بعدها ينحدران في طريق منسكب هو الجادة السابعة من أحد أزقة المهاجرين •

وعندما لمحا الترام يهدر في القاع حاولا عبثا السيطرة على اندفاعهما الجنوني خشية أن يفقدا زمام ساقيهما فيجرفهما ذلك الحيوان الرهيب • كانت انفاسهما تتلاحق ولكن دون جهد وفكر كل منهما « لا شك أن الهبوط اسهل من الصعود » ولم تطف هذه الفكرة على لسان احد فهما ، فقد عرفا انها بديهة لا تستحق الجدل •

وفي تلك اللحظة لاح لاعينهما مشهد يستحق الاهتمام ، في منتصف الطريق تقريبا ، كان رجل يصرخ ويهوي بعصاه على مؤخرة كتلة كبيرة الحجم لها اذنان مميزتان ، وقال الاول :

— اظنه حمارا •

ورد الثاني مؤكدا •

— لا بد أن يكون كذلك •

لم يكونا من انصار الرفق بالحيوان لسبب بسيط، هو اعتقادهما بأن لاتفه حيوان منزلة توفر له المعاملة اللائقة ، وتقيه شر الظلم والتعسف فضلا عن أن في صدر كل منهما ذكرى مشبوبة لا يمكن تجاهلها فقد ترك هناك بهيما كان صديقه ومعينه الوحيد يقضي معه النهار في طرقه الارض ويشكوا اليه افراحه واحزانه وعندما غادر الفلاحون قراهم سرحوا بهائمهم لترسم بحوافرها طريق رزقها المقسوم •

وصمتت ظنون الرجلين عندما وصلا الى المكان ، كان هناك حمار حقيقي غائص تحت حمل ثقيل فلم يبرز منه غير الرأس ، تسمرت قوائمه في الارض ترفض أن تتزحزح انملة واحدة ، وقد بدا واضحا ان الدابة قررت قرارا اكيدا لا محيص عنه ان تقف في مكانها ، ومن الطبيعي ان هذا التصميم لم يكن قد ارتسم على وجهها ولم تبح به لاحد ، ولكن الدلائل منها كانت تشير الى صحته فالحمل الثقيل

الباهظ والطريق الصاعدة بشكل عمودي الباديـة للحيوان كالجدار القائم جعلته يتمرد بصورة عضوية وبحسن نية خالصة على متابعة الصعود .

ورفع الحفار الى الفلاحين القادمين رأسه المكدود وكأنه اشتم فيهما رائحة خاصة ، ثم شخر شخر طويلة ليحذرهما مغبة الاتيـان بعمل ما او ليشكو اليهمـا رصفه الشديد على خور قواه وفل عزيمته .

كانت ساعد الحمال قد كلت ، وبح صوته من فرط الجهد الذي هدره في الشتم والدفع والعزب واخيرا لوح بعصاه المحطمة ثم قذف بها في الهواء وهو يغمغم بحنق :

ـ لا فائدة .. يجب انزال الحمولة ، واعترض رجل كان قريبا من المكـان ولعله البقـال صاحب البضاعة :

ـ ولكن يجب ايصال الاغراض الى الدكان :

وهز الحمار رأسه وكأنه يرفض هذا الاحتجاج ، فطارت من اذنه ذبابة فرس ثم عادت الى مكانها دون أبطاء ، فيما شرع يتأمل المخلوقين العجيبين اللذين وقفا يستعرضان المشهد ،

ـ قال احدهما لائما :

ـ مع أن حميركم تأكل الشعير .

وأضاف الآخر بينه وبين نفسه :

(الذي لو توفر لنا نحن الآدميين لكنـا على خير حال .)

ورد الحمال مدافعا عن حماره : ـ القصة ياأخوان ليست قصة شعير .. ان أي حيوان لا يمكنه صعود الجبل بهذه الصناديق الثقيلة .

ولسبب ما ندم الحمال على هذه الاجابة رغم ضرورتها ، فقد واتته فكرة واضحة وطلب الى الفلاحين مساعدته على انزال الحمولة ، وزفر الحمار بارتياح وهو يتلفت الى الخلف معبرا عـن استقانه لهـذين المخلوقين الظريفين برمعان متـلاصق من خيشوميـه

الواسعتين وحدث بعد ذلك ماكان يتوقعه الحمال فقد جرت مفاوضة بسيطة بين صاحب البضاعة والمخلوقين العجيبين ختمها الاول بهذه الحكمة البيضة :

ـ سبحان الله .. لهـذا فضل بني آدم علـى الحيوان .

وضحك الحمار في سره :

« فليكن .. ان ذلك » .

ثم عبر عن سخريته من سائر الحكم بأن رفـع جحفلته الى الاعلى وراح يكشر في وجه الشمس .

كان كل من الفلاحين قد غنطق بحبل في وسطه قطعه من الكباد يلصقها على جبينه عند رفع الاثقال ، وقد برزت من تحت شملته الباليـة قبضة من الشعر كانت تتخذ على الدوام لون آخر مهمة يقوم بهـا . وقد أحاطت بقدميه سيور من الكاوتشوك نزعت من اطار عجلة السيارات .

أما الهيئة العامة فكانت لتنافرها تحض المشاهد على الاعتقاد بأن صاحبها قد تخلى نهائيا عما يسحر بالذوق السليم ، وعلى هذا فلا يمكن للانسان العادي ان يشعر بحضرة امثال هذين المخلوقين بأي حرج ، كما أنه يستطيع ـ بكـل بساطة ـ أن يوكل اليهم القيام بأحط الاعمال أو اصعبها دون أن يضيع وقته الثمين في المساومة أو وزن الاعتبارات .

وانحنى الرجلان على صناديق الفاكهة والصابون والاشياء الاخرى ، يتقاسمانها الى حصتين ، فيما كان البقال يسائل نفسه بتوجس :

ـ ترى هل بمقدورهما أن ينهضا بها . ؟

وبسرعة فائقة وبخبرة من له مائة عام احاط كل من الرجلين صناديقه بالحبل ثم جثم وراءها مسنـدا اياها الى ظهره ، لاصقا قطعة اللباد الى ناصيتـه .. وصرخ البقال بعزم :

ـ يا الله .. ياقوي ..

وكأنه استشعر بالحمولة تنقض على كاهله وتخمد

منه الانفاس ، ونهد الفلاحان برأسيهما الى الامام ثم اندفعا واقفين طقطقت مفاصلهما كما لو أنها تتقصف ، وحال كل منهما حول نفسه قبل أن يتخذ وضعا تتوفر فيه الراحة للحمل ، وما ان حرك قدمه ليخطو خطوته الاولى ، حتى وجد نفسه بناد الى نصفين ، بحيث أصبح رأسه قريبا جدا من قدميه . ولاول مرة لاحظ احدهما ان ابهام قدمه ينزف دما فتذكر بأنه أحس في فترة ما من فترات النهار بألم خاص يأكل ناحية من جسده ، غير انه ابان انشغاله في حفر الجبل نسي الألم وأسبابه ولكن الالم لم ينسه ، ظل يلح عليه طوال الوقت حتى أصبح عادة كريهة يصعب التخلص منها وقال الرجل في نفسه وهو يركز انظاره على الظفر المقلوع :

(سأصب عليه عندعودتي قليلا من البترول وبذلك ينتهي الالم) .

ومن ثم أقنع عينيه بالنظر الى مكان آخر ، وتمنى لو يستطيع أن يرفع رأسه قليلا ليرى الطريق الصاعدة أمامه ، ولكنه فشل ، الفى نفسه مجبرا على أن يظل منحنيا الى الاسفل . وراح يجاهد ضد عاملين قاسيين أشد القسوة بطريق الصاعدة على نحو عمودي والحمل الثقيل الذي يهد حيله ، وفي لحظة ما ساءل نفسه :

« ترى هل ذلك حقيقة .. أن الله فضلنا على الحيوان . ؟ »

ومن سوء الحظ انه كان يفرض نفسه آدميا ، ودليله الوحيد انه في الاحوال العادية يمكنه السير على قدمين ، ولكنه الآن يكاد يمشي على اربع .. وانه ليتمنى ذلك بكل بساطة ، علّ السير بهذه الطريقة يصبح أقل مشقه وامتلأ من خواطره صوت زميله الذي بدا مجوحا ضائعا وسط الزفير :

— اظن انهم سيعطونني ديه البنت .. الا تظن ذلك ؟

كان هذا قد هبط على المدينة مع بناته الخمس ، فأجر الكبرى كخادمة ، وأودع الباقيات زاوية على رصيف النهر في الزرابلية . ولكن لو أعطاني السائق نقودا فستحل المشكلة من تلقاء نفسها ..)

وكان الآخر يفكر على منوال آخر :

« اذا قبضت الآن ربع ليرة اجر حمل الصناديق فسيكون معي ليرتان .. »

كان تفكيرهما في جميع الحالات يؤدي الى نتيجة واحدة . النقود . فقد رهن كل منهما ارضه في السنة التالية للجفاف ، وهو الآن يعمل ما استطاع ليوفر قليلا ويحرر الارض من الدائنين وعاد الأب يستشير صاحبه : — انهم هنا كما علمت —

يعتبرون قضية الدهش كقضية القتل .. اليس كذلك ؟ وعلى هذا سأخذ دية كما حدث عندما ذبح نواف الصالح .. وفكر الآخر :

(ترى الا يحس هذا الرجل مثلي بأنه يكاد ينسحق تحت وطأة الصناديق ..)

وخلد الأب الى افكاره :

(ان البنات مفيدات على أي حال .. على أن لايمتن ميتة طبيعية) .

كان بدوره يشعر بأن الحمل انقض ظهره ، وكان يعمل في نفسه خلال الحديث :

(اذا بدرت من صاحبي أية بادرة في الاستراحة فأني سأجلس على الفور) .

وربما كايد الآن يتحدث عن ابنته القتيلة من قبيل التسلية واضاعة الوقت ولينسى حالته البائسة التي كان عليها ، وعندما يصمت كان يحس بأن الصمت يرهق صدره اكثر مما يفعله الحمل الثقيل .

كان الرجلان يرقيان المرتفع مكورين على نفسيهما

وقد ضاعت منهما المعالم الادميـة ، كانا عبـارة عن كومتين ثقيلتين مكوتتين من أشياء يصعب تصريفها•• أرجـل متورمة ، وسروالين مغبرين ، ومواد اخرى مجهولة ومختفية عن الانظار ، تتميز منها انفاس لاهثة وعيون يأكلها الرمص ، وقلبان يعتصرهما القلق اكثر مما يؤثر فيهما الكدح الشاق المتواصل •

وجرض ذو الاصبع الدامية ريقه بصعوبة ، كان يختمر في رأسه المكدود سؤال أو حديث غريب يصعب نطقه • وفي كل مرة كان يؤثر الصمت انـه لا يفهم شيئا ، كان يقول في نفسه (نحن كنا فلاحـين •• واسمنا فلاحون ••) أما الآن فمن نحن ولو كـان يعرف جيدا انه سيجد الاجابة عند زميله لصارحـه في القضية ولكنه لم يكن واثقا من ذلك ، فضلا عن أنه في هذه الآونة وجد أن السؤال أو مجرد الكلام يتطلب جهدا فائقا لا ضرورة لمعاناته ، وعلى هذا فقد راح يستغرق في احلام مبهمة •

وأحيانا يوهم نفسه بأنه يحلم ، دون أن يدري بأنه يفعل ذلك ببلاهة غريبة ، وظل يتمنى ، ولو لحظة قصيرة ، أن يفلح في تجريد ذاكرته من هذه الحقيقـة التي يدعوها جسده ، كان يلاحظ ـ وهو يجر قدميه أو يصغي الى زحف اقدام زميله ـ بأن الطريق ثابتة في مكانها لا ترجع الى الخلف كما هي البادرة التي يلاحظها السائر ، وخيل له لفترة معينة بأنه يسير على شريط يتحرك الى الوراء بحيث لن يصل مـن يمشي عليه الى أي مكان ••

وهنـاك بادرة ساءته كثيرا وراحت تعذبه بدأب فقـد لاحظ بأن الكلل بـدأ يتسرب الى اعماقـه ، وأرعبته حقيقة بسيطة للغاية :

(ماذا لو بدأت أتعب منذ الآن•• من سيطعمني•• وكيف استطيع أن أفي ديوني وارجع الارض ••)

وفجأة أحس بظلم فادح يأكل ضميره ، فانتفض بقوة ولكن كما تنتفض نملة تحت حجر ، وتصاعدت من جوفه حشرجة أليمة في حين كان الآخر ينقب فـي ذاته عن تلك النشوة التي تملكته عندما وجد نفسه منذ قليل في احضان الجبل ، يذلل جبروت المدنية الظالمة التي تمضغه بقرف دون ان تتلذ بطعمه وأغمض عينيه ليتخيل الابنية المرتفعة تلعق سيور حذائـه المحترق وغامر ذو الاصبع الدامية بكل رصيده من افكاره واطلق من جوفه صغيرا غامضا شبيها بنقيق الضفدعة:

ـ انني لا افهم •

وفتح الآخر عينيه وأرهف اذنيه رغم عدم استعداده لسماع أي شيء •• واستطرد الاول قائلا :

ـ ان الفلاحين •• لهم دائرة او وزير أو ما أشبه ذلك ••

على كل حال يوجد في الدولة من يهتم بأمرهم •• أما نحن فلا أجد •• أعني •• لا ادري كيف اعبر ••

وفي تلك اللحظة انطلق من احدى الشرفات صوت نسائي ينادي :

ـ انظري يانت هل يوجد أحد في الطريق ؟•

وردت الخادمة بعد لحظة : لا يا ستي •• لايوجد آحـد ••

وكانت الخادمة سليمة النية عندما أجابت ، فقد واطلق من جوفه صفيرا غامضا شبيها بنقيق الضفدعة : مبهمتين تتحركان كالسلاحف وسفحت المرأة صفيحة الماء من الاعلى فكار رذاذه على الارض محملا بالغبار والبصاق والنفايات وبكل ماتحمله الاحذية في نعالها، ثم لطخ وجهين مدفونين تحت الاعماق ولسق الاول شرفيه وهو يغمغم :

ـ اظن •• قلبي يحدثني •• بأن الله سينزل المطر •• ويصيح الآخر كالمخنوق :

ـ الله يبعت الخير •• وظل الطريق يمتد صعدا••

نظرتي الاولى

شعر : عبد الرحيم الحصني

قبل يـد الحس ، وانهل من مغانيه
فالحسن لولا الهوى ضاعت معانيه

لـم يخلق الحسن في الدنيا لنحرمه
قلبـا يناديـه أو شعـرا يناجيـه

يا فقد عمر هوى في الغيب ما عزفت
قيثارة الحب لحنـا مـن اغانيـه

سكرية الحسن هل في العمر متسع
يقضي الفؤاد بـه أحلـى أمانيـه

عرفت للحـب معنى كنت أجهلـه
(لا يعرف الحب الا مـن يعانيـه)

اهديت حسنك اشـعاري فلونهـا
خمرا ، وياطيب ما أهدت أياديـه

روحي فدى خصلة بالوحي سابحـة
أرخى الصباح لهـا أبهـى لآليـه

سالت على الفضة العطشى مدلهـة
تغازل الجيـد فـي دل وفي تيـه

يا موسم الورد فـي وجه عرفت به
ربـا تحـار البرايـا من تجليـه

لـي من عبيرك آهـات مرتلـة
سكبت في همسهـا قلبي ومـا فيه

أواه من نظرتي الاولى كم انتزعت
من قلبي الخصب انـدى ما يسليـه

أصحو واسكر لا خمـر ولا قـدح
استغفر الحسن ، هـذا من مجانيه

مع الدكتور طه حسين والمتنبى

١

بقلم : معلى الصارم

خـود جنت بيني وبـين عواذلـي
حربـا وغـادرت الفؤاد وطيسـا
بيضـاء يمنعهـا تكلـم دلهـا
تيهـا ويمنعهـا الحيـاء تميسـا

قال الدكتور ص ٧٦ : (فهي أرفع من النجـل ، ووصلها أرفع من الامتناع ، ولكنها مع ذلك من الدل والتيه ، ومن الخفر والحياء بحيث لا تستطيع ان تتكلم ، ولا أن تميس ، فهي نجيلة كريمة ، وهي ممنعة مبتذلة ، وهي حييه وقحة ،) .

لا أجدني مبالغا اذا قلت ان الدكتور على بعد غوره ، لم يفهم معنى هـذه الابيات على سهولتها وبساطتها ، أو يعرف معناها ولكنه يريـد أن يطمسه عندما يعطيها صورة عكسية ، واني لأستغرب أن يكون الانسان حييا وقحا في وقت واحد ، وكان أولى بالدكتور أن يشرح هذه الكلمات بما تحمله من المعنى الذي صيغت له ، فهذه الفتاة التي يمنعها الكلام دلهـا ، لا توصف بالابتذال ، وعلى العكس فقد أعطاها في هذا القول صفة الرزان الوقور ، فلما ذكر الحياء نفى عنها صفـة الوقاحة ، ومن كانت كذا لا يقال بهـا (ليست خليقة بالشعر الا حين يقصد الى هجائها) وقد اظهر العلماء الشراح معنى هذه الابيات حـين وجهوا أشعة عقولهم الثقافية ، وأفكارهم المشرقة ، وحتموا مقصد المتنبي منها ، وثبت في العقل صحة ما ذهبوا اليه ـ فليؤخذ من فطانه ـ لكن الدكتور يأبى أن يكون دائما مخالفا للواقع ، ناقضا لآراء العلماء ولا بد لنا من تعليل هذه المخالفة :

فاذا كان قد قرأ ما قاله العلماء الذين هم أقـرب عهدا بعضر المتنبي ، وأشد تفهما له ، وتبصر ما قام عليه البرهان العقلي من أقوالهم ، وسطعت الحقيقة في نفسه ، ولم يشأ اظهارها ، ولم يؤمن بها ، فذلك نقص في فهمه ـ وهذا ما يصعب أن أقوله ولكنه الواقع ـ واذا كان قد قرأ هذا ولم يفهـم معناه ـ وهـذا ما أشك به ـ وحمل حملة الناقد يسخف ويسخر ، فذلك سفه الرأي ، حيث كان من الادب ومن السمو الانساني أن يذكر سيادته الحسنة ويسميها باسمها ، ويذكر السيئة ويسميها باسمها ، ويقيم الدليل على صدق قوله في كليهما .. ولكن غاية في نفسه وقفت دون ذلك ..

يترشفـن من فمـي رشفـات
هـن فيه أحلـى من التوحيـد

قال الدكتور ص ٩٧ :

(فأنت ترى أن المتنبي قد أته في هذه القصيدة من وجوه ، فهو يذكر حلاوة التوحيد في لهجة الساخر المستهزىء ، وهو يشبه نفسه مرة بالمسيح ومرة بصالح ،

ويشبه المسلمين الذين كان يعيش فيهم مرة باليهود ومرة بثمود ، وبعد هذا وذاك يعلن الثورة والخروج على النظام ، ويلقي ذلك في نفوس الناس بألفاظ ملتهبة توشك أن تثير فيها اللهب •) •

المتنبي أتم في هذه القصيدة من وجوه ، ربما كان ذلك ، ولكن هل يسمح سيادته أن نضيف الى أقوال المتنبي أقواله فنبحثها بكل تجرد لنرى أيها اكبر اثما وافسد عقيدة ، ونختار حكما منصفا على ان يقطع على نفسه عهدا بالعدالة •

قال المتنبي :

يترشفن من فمي رشفات
هن فيه أحلى من التوحيد

وقال الدكتور :

للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا • ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لاثبات وجودهما التاريخي ، فضلا عن اثبات هذه القصة تحدثنا بهجرة اسماعيل بن ابراهيم الى مكة — الى ان قال — ونحن مضطرون أن نرى في هذه القصة نوعا من الحيلة لاثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الاسلام واليهودية ، والقرآن والتوراة من جهة أخرى •

قال المتنبي :

ما مقامي بأرض نخلة الا
كمقام المسيح بين اليهود

وقال الدكتور :

فليس ما يمنع قريشا من أن تقبل هذه الاسطورة التي تفيد أن الكعبة من تأسيس اسماعيل وابراهيم ، كما قبلت روما قبل ذلك ولاسباب مشابهة اسطورة أخرى «صنعتها لها اليونان» تثبت أن روما متصلة باينياس بن بريام صاحب طروادة ، الى ان قال فيستطيع التاريخ الادبي ألا يحفل بها عندما يريد ان يتعرف أصل العربية الفصحى •

قال المتنبي :

أنا في أمة تداركها الله
غريب كصالح في ثمود

وقال الدكتور :

إن النبي — ولم يذكر مرة واحدة (صلى الله عليه وسلم) — كان يحرص على الهجاء ويثبت عليه أصحابه ويتحدث أن جبريل كان يؤيد حسانا ••• الخ •

هذا ما نتلوه عليه من قول سيادته في الادب الجاهلي ، فما اعتذاره وما هو دفاعه عنه ؟ المتنبي آثم في نظر الدكتور لانه أراد أن يضرب أبلغ الامثلة التي تعطيك الصورة الحية عن ذلك الزمن الذي كان يعيشه وعن الناس الذين ركبهم الجهل فأعشى بصائرهم وأبصارهم ، والدكتور المسلم المؤمن الذي شد على يد أليفه الشيخ علي عبد الرزاق صاحب رسالة الاسلام واصول الحكم : الدكتور المسلم المؤمن يقول : للقرآن أن يحدثنا ••• كأن القرآن زعم وليس بتنزيل العزيز الرحيم ، وجهل الدكتور أنه : لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والدكتور المسلم الذي يسمي قصة ابراهيم واسماعيل اسطورة ويقرنها بقصة طروادة ناسيا أو متناسيا قوله تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل •••) وقوله (ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) نسي هذا كله ، بل أهمله اردرا ءوعدم تصديق به (أنه من لدن حكيم عليم) والدكتور هذا المسلم يرى في هذه القصة نوعا من الحيلة لاثبات الصلة بين اليهود والعرب ••

الحيلة ممن ؟ ! من الله الذي أوجد الموجودات من عدم • وهل كان له سبحانه نظير أو مثيل ؟ حتى يفعل الحيلة ، فالذي اليهود والعرب والناس جميعا كان قادرا ان يصل بينهم ، وأن يجعل أمة واحدة (ولو شاء ربك

لجعل الناس أمة واحدة) .. فالمتنبي آثم في أبياته هذه أم الدكتور هو الآثم أشد الاثم .. إن في اعتقاد كل مسلم أن كل ما جاء في الكتاب الكريم حق لامرية فيه ، والطعن بأية قصة بل بأية جملة بل بأية كلمة في القرآن طعن به جملة وتفصيلا .. ولنعد الى بحث بيت المتنبي وما قاله الشراح .. قال ابن القطاع : ذهب كثير من الناس أن لفظة أفعل من كذا ، توجب تفضيل الاول على الثاني في جميع المواضع ، وذلك غلط : والصحيح أن أفعل يجيء في كلام العرب على خمسة وجوه أحدها .

أن يكون الاول من جنس الثاني ، ولم يظهر لاحدهما حكم يزيد على الاول به زيادة يقوم عليها دليل من قبل التفضيل ، فهذا يكون حقيقة في الفضل لامجازا كقولك زيد أفضل من عمر . والثاني أن يكون الاول من جنس الثاني ومحتملا اللحاق به ، وقد سبق للثاني حكم أوجب له الزيادة بالدليل الواضح ، فهذا يكون على المقاربة في التشبيه لا التفضيل كقولك : الامير أكرم من حاتم ، وبيت المتنبي من هذا القبيل ، أي يترشفن من فمي رشفات هن قريب من التوحيد ، والثالث أن يكون الاول من جنس الثاني أو قريبا منه والثاني دون الاول ، فهذا يكون على الاخبار المحض كقولك : الشمس أضوأ من القمر ، والرابع أن يكون الاول من غير جنس الثاني وقد سبق للثاني حكم أو جدله الزيادة ، واشتهر الاول من جنسه بالفضيلة فيكون هذا على سبيل التشبيه المحض كقولك : زيد أشجع من الاسد ، والخامس أن يكون الاول من غير جنس الثاني ، والاول دون الثاني في الصفة جدا فيكون هذا على سبيل المبالغة المحضة ، وقد أثبت اليازجي هذا البيت بلفظ (حلارة التوحيد) وقال : التوحيد نوع من التمر في العراق . وقال البرقوقي مثل هذا القول . وزاد اليازجي فقال : في الكلام تشبيه مضمر أي كحلاوة التوحيد ...

وقال الجرجاني : والعجيب ممن ينقص أبا الطيب ، ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة — وذكر البيتين — فلو كانت الديانة عارا على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر شاعر ، لوجب ان يمحي اسم أبي نواس من الدواوين ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية — الى ان قال — ولكن متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر ..

وحمل سيادته على المتنبي يكفره ويسخفه في بيته هذا ، وكان ضروريا ألا يستعجل السيئة ، وألا يشيح ببصره عن قول المتنبي في القصيدة نفسها .

ولعلّي مؤمل بعض ما أبلغ
باللطف من عزيز حميد

فهل يحكم بالكفر على من كان يرجو بلوغ آماله بلطف الله ، وأعجب من هذا أن الحاكم هو الدكتور طه حسين وهو من بنى بحثه في كتابه (الادب الجاهلي) على التجرد من دينه وقوميته .. على أني أرى قول المتنبي (باللطف من عزيز حميد) ينطق صراحة بايمانه ، أي أنه سينال بلطف الله مما يأمله ، وأراه قد اعتمد على الله وكرر مثل هذه العبارات كثيرا في أبيات كثيرة سنوردها فيما بعد .

للبحث صلة

في ١٧ — ٢ — ١٩٦٥

معلى الصارم

من الاساطير اليابانية

ترجمة : انور كوزاك

للكاتب الياباني

يودا اكناري

المرجل

الحياة مع المرأة الغيورة صعبة شاقة أما اذا ما كبرت وشاخت بدت فضائلها • وغيرة المرأة ان كانت بسيطة اقتصرت اضرارها على بلبلة اعمال زوجها ، واضاعة مورد العائلة ، ودعت اقرب الجيران للتحدث عنها • ولكنها ان اشتدت وبلغت اقصى درجاتها ، اضاعت العائلة ، واودت حتى بالبلد ، وقضت بعد اجيال متعاقبة على مملكة باسرها • والذين كانوا ضحايا هذا السم الزعاف لايعرف عددهم • أما النساء اللواتي استحلن الى افاع مخيفات ، او اللاتي اثرن العواصف ، وبعثن الصواعق امعانا بالتشفي وطلب الثأر ، فتقطع لحومهن ، وتمزق اجسادهن مزقا صغيرة تحفظ في الاواني كالمخللات • غير ان هذه الحالات القليلة النادرة ، ان اتبع الزوج فيها سبيلا قويما وسلك مسلكا حكيما تمكن من تجنب الضرر والشر • وان اتبع الهوى وتنكب سواء السبيل فقد زاد النار اشتعالا وصب الزيت على نار الغيرة فاضطرمت ، وبات كمن يتشبث باذيال الهموم والاحزان ، ويبحث عن حتفه بظلفه «مراقبة العصفور تستدعي قوة الطباع • ومراقبة المرأة تحتاج الى قوة وشدة الرجل » •

كان هناك رجل يدعى ايزاوا شودايو ، قد هجر حياة المدن والقصور ، واخلد الى سكينة ارض نائية يحرثها في فصل الربيع ويجمع غلالها في فصل الخريف مدة ثلاثة اجيال متعاقبة عاش فيها مع اسرته عيشة ناعمة راضية • وقد رزقت هذه الاسرة ولدا غاية بجمال الصورة فدعوه شوتارو ، غير انه كان كسولا خاملا فعزف عن حياة الجد والعمل ورغب عن حراثة الارض وزراعتها ، وتعلق بحياة اللهو وطلب المسرات الرخيصة ، غير عابىء باوامر ونصائح والديه اللذين تداولا طويلا بامره ، وانتهيا برأيهما الى ان زواجه بفتاة جميلة ذات حسب ونسب سيكون نهاية لحياة اللهو التي يحياها • وفي تفتيشهما في طول المنطقة وعرضها عثرا على سمسار للزواج قال لهما « ان ابنة كازادا ميكي كاهن كيبيتسو ذات جمال وخصال حميدة ، وهي زيادة عن حسن خدمتها لوالديها ، تعرف كيف تندبر امر قصيدة • فارتباط بيتكم بهذه العائلة النبيلة مجلبة للفخر والسعادة • وانني لآمل بان يتم هذا الارتباط فيما بينكما • فماذا تقولان ؟ » •

فأجاب ايزاوا فرحا « ان ما تعرضه علينا لامر رائع ، حتى ليقال انه بمثابة ارساخ قواعد بيتنا لالف سنة • غير ان عائلة كازادا من النبل بحيث لا نبدو حيالها سوى فلاحين بسطاء ، وقد يجدون بهذا الزواج تنازلا فيرفضونه » فعلت شفتي السمسار ابتسامة وهو

يجيب « انكم غاية بالتواضع . اما أنا فعلى ثقة من اننا سننشد « المئة الف سنة [1] » .

واذا عرض طلب الزواج على والد الفتاة كازادا وعلمت امرأته به قالت بلهجة حازمة « لقد بلغت ابنتنا السابعة عشرة وبات اهتمامي بايجاد زوج لها شديـدا فعين موعد الخطوبة وارسل الهدايا » وعلى هذا الشكل اعلن كازادا موافقته وجهز الهدايا وارسلها الى منزل الخطيب وانتقى يوما سعيدا لاتمام الزواج .

وابتهالا للالهة لاسعاد هذا الزواج ، دعا كازادا الكهنة والخدام ليقيموا حفلة « الماء الحار » لمعرفة ماذا كان الحظ سعيدا امسيئا . وهذا مايدعى باستخارة قدر كيبيتو المقدسة . وكانت هذه الطقوس خاصة بعائلة كازادا . ولما لم يخرج غليان الماء في القدر الا اصواتا شبيهة باصوات حشرات صغيرة بـدأ كازادا يتساءل عما اذا كان الاله قد تخلى عنه . الامر الذي اقلق باله وشغل خاطره فاسـره الى امرأته فقالـت « اذا كانت القدر المقدسة لم تخرج صوتا يدل على رضى الالهة فلا ريب بان الكهنة لم يطهروا اجسادهم بالقدر الكافي . ولطالما سمعت بان النكث بالوعد بعد تقديم هدايا الزواج لا يجوز ولو مع عائلة عدوة حتى ولا مع اناس يقطنون في اقاصي البلاد فكيف الحال مع ايزاوا المتحدر من اصل عدد كبير من المحاربين لهم مبادئهم ومثاليتهم لاسيما وقد سمعت ابنتنا بان زواجها العتيد شاب وسيم جميل الطلعة ، فاصبحت تعـد الايام التي تفصلها عن زواجها به . وقد يدفعها هذا الخبر السيء الى اتيان مالا تحمد عقباه . وعندئذ لن نستطيع ان نبدل واقعا او نكفر عمـا جنيناه » وكثرة الكـلام لاقناع الرجل هو بلا مراء من طبائع المرأة . ومـع ذلك فقد كان كازادا مقتنعا منذ البدء بهذا الزواج كما لم يكن امر القدر بنظره ذا اهمية ، ولذلك نزل

بسهولة عند رأي زوجته واقام حفلـة زواج تليق بمكانته انشد فيها مدعووا كلا الطرفين « انشود الف سنة القبرة ، وعشرة الاف جيل السلحفاة » .

منذ ان انضمت ايزورا ابنة كازادا الى عائلة ايزاو كانت تلازم حمويها منذ نهوضها باكرا حتى ايوائه الى الفراش في ساعة متأخرة من الليل . فقدرا لها هذ الاخلاص البنوي كما قدره لها زوجها شوتارو فعاش معها هانئا مسرورا . ولكن ما العمل ؟ وانانية زوجه المتغلبة على طباعه دفعت به ، بعد مدة من الزمن ،الى التعلق بفتاة تدعى (سود) وانتهت علاقته بها الى ان يتخذ لها منزلا خاصا في قرية مجاورة حيث بات يقضي اياما طويلة الى جانبها ضاربا بتوبيخ والديه عـرض الحائط . واخيرا انقطع نهائيا عن زيارة والديه وزوجه اشهرا عدة ، فاستشاط والده غضبا وانكر بنوته . ومع كل هذا ظلت زوجته ايزورا ترسل اليه المؤونـ خلسة ذاهبة بعملها هذا الى ابعد حدود الاستقامـ والاخلاص .

في أحد الايام اذ كانت ايزورا وحيدة حضر زوجه قائلا : « ان ما تبذليه من اخلاص ونكران ذات يدفع بي للعودة اليك نادما مستغفرا ، غير ان تلك المرأة وحيدة لا معين لها سواي ، فان هجرتها اصبحت ولا شك مومسا في احدى الموانيء . ولذلك عزمت على الحاقها بخدمة احد اصدقائي في العاصمة حيث تجد المأوى وما يقيها سبل الزلل ، وسأبقى جانبها الى ان يتوفر لي قليل من المال وبعض الثياب ازودها بها . فقالت زوجته لا تقلق من هذه الناحية . وعمدت الى ثيابها تجمع افضلها في الوقت الذي ارسلت فيه الى والدتها تطلب مالا بسبب كاذب . وقدمت هذا كلـه الى زوجها فتسلل من البيت خارجا . وبرفقة خليلته غادر القرية متجها نحو العاصمة .

---

(1) « المئة الف سنة » نشيد يـدعو للعروسين **باليمن والاقبال** وهو من التعاليم الدينيـة التي تعتبر الارز رمز العمر اضافة الى السلحفاة التي تعمر ألف سنة .

اما ايزورا فقد تلقت الطعنة في الصميم وابت ان تتعزى لتدني زوجها الى هذا الدرك من الاحتيال والخداع • فاضربت عن الطعام وباتت ضحية مرض خطير استعصى على عناية وعقاقير الاطباء •

غير ان الهاربين شوتارو وسود ، مد توقفا بضعة ايام للاستراحة في احدى القرى الواقعة على الطريق الى العاصمة حيث يسكن احد اقارب ايزورا زوجة شوتارو الذي عرض عليهما الاقامة لديه بقوله « تقولان انكما لا تعرفان احدا في العاصمة ، فلن تجدا من يمد لكما يد المساعدة • اقيما معنا تتقاسم مالدينا من كرات الارز الى ان نجد وسيلة اخرى لمعيشتنا » وهكذا استأجر هيكوروكو — وكان هذا اسم قريب ايزورا — لهما مسكنا مجاورا اقاما فيه • ولم يطل بهما المقام حتى بدأت سود — بدون سبب معلوم — تتلوى ألما وكانما تلبستها روح شيطانية • اما شوتارو فقد انصرف في اساه وانشغال خاطره ، عن الطعام ، عازيا مانزل بخليلته الى روح الانتقام المبعوثة من قبل زوجته التي هجرها دونما سبب •

قضت سود نحبها فاضاع المصاب صواب شوتارو وبدأ يتخبط كمن به مس من جنون برغم محاولة قريبه هيكوروكو تعزيته بقوله « ان ما وقع قد وقع وهي الآن دخان فوق الصحارى المقفرة » واخيرا جمعوا العظام وبنوا قبرا وضعوها فيه ، ثم دعوا راهبا ادى صلاة الرحمة لها •

كان شوتارو طيلة اطراقه بناظريه الى الارض مصعدا الزفرات والتنهدات الحرى، يفكر بعدم جدوى الطريقة الدينية التي تستدعى بها الروح لسكنى الجسد • ويتمثل مسقط رأسه وما يحول دونه من مناطق ارضية مظلمة ومسالك امحت وفقدت معالمها • وفي كل هذا كان لا ينقطع عن زيارة قبر سود • واثناء هذه الزيارات المتتالية لاحظ ان الاعشاب تنمو حول القبر بسرعة وتنبعث من خلالها اصوات حشرات كئيبة محزنة كما فطن الى وجود قبر آخر حديث العهد الى جانب قبر حبيبته ، تقوم على نثر الورود عليه امرأة كسا شحوب الحزن محياها • فخاطبها بقوله « يا للشفقة ! ! انت بعمر الورود وتيهمين في هذا السبيل الكئيب المقفر ! ؟ » فالتفتت المرأة اليه قائلة « مساء اثر مساء ، عند مجيئي اجدك ياسيدي • فهل فارقت عزيزا ؟ انني اقدر شعورك وانا جد حزينة لاجلك » ثم بكت المرأة بكاء مرا •

— فأجابها شوتارو « لقد فقدت امرأة عزيزة علي منذ حوالي عشرة ايام • وتعزيتي هي زيارتي لها • فهل حالك ياسيدتي شبيهة بحالي ؟ » •

فقالت المرأة :

« ان الفقيد كان سيدي وهو ذو مكانة في هذه المقاطعة قد اودى به فقدان املاكه • أما امرأته فهي ذات جمال تتغنى به كل شفة ولسان وقد جئت بالبخور والزهور عوضا عنها لوقوعها فريسة الحمى » •

ان حالينا متشابهان ولهذا اود لو اقدم لها بنفسي عواطف التعزية •

— انها ترحب بك وهي ولا شك قلقة لتأخري بالعودة •

تقدمته المرأة في طريق تغطيها اعشاب البامبو وفي بهما الى باب من البامبو زري الشكل • ومن خصاصة
بهما الى باب من البامبو رزي الشكل • ومن خصاصة
نافذة مغطاة بالورق بدا نور شاحب • فقالت المرأة

تفضل بانتظاري هنا • ودخلت الى البيت لتخرج منه بسرعة قائلة : امرتني السيدة بادخالك الى حجرة الضيوف حيث ستحدثك من وراء ستار • ثم أدخلته غرفة ضيقة تراءى له فيها شبح سيدة تقف وراءستارة مسدلة فتوجه اليها بقوله : « علمت باحزانك وبالمصاب الذي نزل بك ولما كان شأني كشأنك بأسفي الشديد على زوجتي التي اختطفتها يد المنون فقد رأيت ان اجيء لنتبادل شكوى احزاننا المتشابهة » فازاحت المرأة الستار قليلا وقالت « لشد ما اعجبت لرؤياك انظر الى ما فعلته بي قسوتك » وبتمعن راح يتفحصها بنظره • اجل لقد كانت ايزورا زوجته التي هجرها • وقد اصبح محياها كئيبا شاحبا • بارز عظام الوجنتين • تحت مقلتين انطفأت فيهما جذوة النور • وامام هول منظر عظام يدها الصفراء الممتدة نحوه ارسل صرخة ثاقبة وسقط كالميت •

بعد لأي من الزمن عاد شوتارو لنفسه وادرك ان ماخاله مسكنا لم يكن سوى معبد • فراح يعدو هاربا الى منزل مضيفة هيكوروكو حيث قص عليه قصته فنصحه بتطهير جسده والقيام بزيارة احد السحرة المجاورين للحصول منه على بعض التمائم والتعاويذ • لان ليس افضل لمن شمله الخوف من اللجوء الى الالهة وبوذا •

متشجعا بالنصيحة يمم شوتارو شطر اقرب القرى وقص على الساحر فيها كل ماحدث له وطلب اليه الكشف عن حظه •

وعندما انتهى الساحر من مقتضيات الكهانة قال « ليس من السهل تفادي الخطر المحدق بك • اذ سبق لهذا الشيطان ان ازهق نفس امرأة • ولن يهدأ غضبه الا بازهاق نفسك • فعليك ان تلزم بيتك مدة ٤٢ يوما لا تفتح فيها نافذة او بابا » ومن ثم أخذ الساحر فرشاة ورسم بها على ظهر شوتارو وذراعيه وجنبيه احرفا قديمة وخط على اوراق كثيرة بالحبر الاحمر طلاسم قدمها اليه ناصحا « هذه الطلاسم تعلق على كل منفذ الى بيتك فحاول الا تفقد حياتك بخطأ ترتكبه » •

عند منتصف الليلة الاولى سمع شوتارو صوتا من الخارج يقول « ياله من خبيث • لقد وضع على الابواب طلاسم • وعاد الصوت يردد هذا القول في منتصف الليلة الثانية ثم في الليالي التي تلتها • وفي كل مرة كان شوتارو يرتجف خوفا ويقف شعر جسده هلعا •

في الليلة ٤٢ كانت السماء صافية الاديم ، والقمر يغمر باشعته وجه الارض فخاله شوتارو نور الصباح يبزغ • فهرع الى الباب يفتحه وينادي هيكوروكو شاكيا اليه وحدته « ها قد امضيت مدة انفرادي وانا اتحرق شوقا لرؤيتك والتحدث اليك • فارجو ان تستيقظ وتخرج الي » •

ولم يفتح هيكوروكو باب بيته او يكاد حتى صك سمعه صوت استغاثة فقال في نفسه « لقد قضي على شوتارو » ثم تناول فأسا بيده وخرج مسرعا فرأى باب بيت شوتارو مفتوحا ولكنه لم يجد له اثرا • فأضاء مصباحا ودخل البيت يفتش جوانبه • وهنالك قرب الباب كانت دماء غزيرة تلطخ الجدار • اما الجثة فقد اختفت •

بادر هيكوروكو الى اعلام عائلة ازاوا وهذه بدورها نقلت الخبر لعائلة كازادا • وهكذا برهنت الاحداث على أن قول الساحر وايحاء ماء الرجل كانا صحيحين وجديرين بالاحترام •

أنور كوزاك

مرثاة بلا احزان

شعر : سهيل عجمي

« إلى صديقي الانسان »

يا صديقي !

أيها الضائع ، من عهد سحيق ،

أيها التائه ، في بحر رمال وحريق ،

انت مثلي ،

تحمل الجرح وتمضي ،

من طريق لطريق ،

مشرعا للريح .. للاعصار ... صدرك ،

مطعما للوهم .. للغربة .. لليل ..

أمانيك وعمرك ،

لم تزل تبحث عن مخبرك في كل مكان

أترى تلمح فجرك ؟؟



. . .

ياصديقي ،

انت مثلي :

حفر الرعب بعينيك دروبه

وصليبــهْ .

ورمى اليأس على دربك ظلا ،
من سواد
وخريفا ،
كالح الوجه ، مخيفا ،
لف أحلام الحصاد ،
قهقهات الريح أدمت مقلتيك ،
وعلى جبهتك السمراء آثار الرماد

★ ★ ★

يا صديقي !
لم نعد نقوى على السير ، على بذل الدماء
من يروِّي ظمأ الوحش ؟ يرد الموت ؟
يفدي الابرياء ؟؟
أترى قد جف في أعماقنا نهر الفداء ؟!
آه يانهر الفداء !!
آه يا ملحمة العار ! أمات الشهداء ؟!!
كذب الفجر الذي يولد في ظل الخباء !
كذب الفجر الذي يولد من غير دماء !!

★ ★ ★

ياصديقي !
انني ألمح في عينيك فجري ،
أترى تلمح في عيني فجرك ؟؟
أنت مثلي ،
والدم النازف من صدري وصدرك
وحد الجرح العميقا
فانتفض !
حدد اليوم الطريقا
فانتفض !
دع قبور الاولياء ،
والخرافات التي ماتت ، قبور الاولياء
كذب الفجر الذي يولد من غير فداء
فلنكن كبش الفداء !

★ ★ ★

ياصديقي !
فجرنا يولد في دفقة جرح ،
فلنكنه !
ولتكن أنت رفيقي ،
في مفازات الطريق
لف ضعفي بجناحك
رد عن عيني أمواج الحريق

★ ★ ★

ياصديقي !
أيها التائه في بحر رمال وحريق
لم تزل تبحث عن معنى الحقيقة
ليس في الكون حقيقة !
غير أن تشقى ، وتشقى ،
وتصلي للرياح !
عبثا تسجد للرب الذي تلمحه ،
عبر الرياح !
دع صلاة الريح ، وابدأ من جديد
أرضك الأرض وأنت الله ،
فابدأ من جديد

سهيل عجي

التربية الشعبية

بقلم : الدكتور ريمون طحان

هناك حدود تفصل التربية الشعبية عن التربية المتواصلة ، تؤمن الدولة في المجتمعات النامية ثقافة عامة يتمثلها أفراد الشعب وتوزع على المواطنين معارف تصلح لكل المواطنين ومعارف خاصة ينفرد بها حملة الشهادات العامة وحملة الشهادات المهنية . تستطيع بعض الدول القيام بأعباء التربية المتواصلة وترفع باستمرار عدد سني الدراسة الالزامية بينما لاتستطيع دول اخرى الا اللجوء لتطبيق نظام التربية الشعبية ساعية للالتحاق بركب الحضارة ، ففي مجتمعنا الفتي نرى الدولة تسعى لتعميم التربية الاساسية أي مبادىء القراءة والكتابة، ذلك الحد الادنى من الثقافة التي يجري وراءها المواطن الأمي الذي حرم من الدراسة الابتدائية والذي يبذل قصارى جهده في تلافي ما فاته . ان مكافحة الامية والتربية الاساسية هما مرحلتان انتقاليتان يجب ان نتعداهما لبلوغ التربية الشعبية التي نجعل المواطن يشعر بحقوقه وواجباته ليسهم في تقدم بلده الاجتماعي والاقتصادي . كان الكادحون في الماضي يرتعون في الجهل ويتخبطون في دياجير الظلمات فجاءت التربية الشعبية كالنبراس المنير تضيء السبيل لكافة المواطنين وتدعوهم للتسلح بالعلم والعرفان لمعالجة امور حياتهم اليومية ولبناء مجتمع يتساوى فيه الافراد في الحقوق والواجبات ويسعى كل منهم لان يصبح عضوا نافعا ويبني مجتمعا جديدا .

ان التربية الشعبية لا تتخلى عن الفرد الذي تخلص من أميته كما انها تمسك بيد الذي غادر المدرسة الابتدائية دون أن يتابع دراسته وتفتح ابواب التحصيل لكافة المواطنين مهما بلغ سنهم وتحتل منزلة وسطى بين التربية الاساسية والتربية الاختصاصية .

ظهرت التربية الشعبية بتأثير عوامل معينة ، تمركز السكان في مساكن شعبية تعج بالحياة وبدأ الافراد يتفاعلون بحكم المعاملة مع بعضهم البعض ويشعرون بضرورة البحث عن ثقافة يتحلون بها . ارتفع مستوى العيش وحصل العمال والفلاحون على عطل عديدة وكثرت اوقات فراغهم فأخذوا يبحثون عن غذاء روحي . عم التعليم الابتدائي ورغب الذين تمثلوا المعلومات الاولية في زيادة معارفهم واحبوا الاطلاع على مكتسبات وفنون وآداب العصر الحديث . رغب خاصة الكتاب العصريون في تثقيف الجماهير وفتشوا عن قراء من الطبقات الشعبية .

كان الكاتب والمتعلم في العصور الغابرة سليل طبقة معينة قد جعلت العلم وقفا لها . ابتدأ الصراع الطبقي يتجلى في مشكلات تأمين الخبز والعيش ثم ما لبث عندما امنت الاشتراكية الخبز للكادحين أن تحول الصراع وتناول الضمان الصحي والتأمين الاجتماعي قبل أن يتجلى في المطالب الثقافية اذ أخذ الآن المواطن يسعى في استكمال ما فاته من الثقافة والمعلومات لتفهم التراث الحضاري وتذوق الآثار

الادبية وتحت تأثير ضغط المواطنين أعارت الدولة اهتمامها الى ما نسميه بالتربية الشعبية •

لابد لنا من الاعتراف بوجود فروق كبيرة بين المستوى العلمي المحض والمجرد ومستوى الثقافة الشعبية لا يستطيع المواطن القيام بابحاث اختصاصية بل هناك نقط فئة من الذين اوتوا الملكات الفكرية الكافية واكتسبوا المعلومات الوافية يستطيعون القيام بأبحاث علمية محضة ، عندما يحصل المواطن على حصة وافرة من العلم يدخل في عداد المحظوظين الذين يستطيعون ترتيب افكارهم واظهارها بشكل شيق وجذاب قد يؤثر على هؤلاء الذين لايعلمون • فالذين يدعون انهم يحملون لواء الفكر ونبراس الحضارة يسيرون العالم بجدليتهم الخداعة ويتلاعبون به تلاعب العاصفة بالاوراق الذابلة ويخفون وراء الالفاظ المنمقة الافكار والآراء المغرضة ويرون في الطبقات الكادحة والساذجة لقمة سائغة وفريسة هينة المنال فلئلا يستبد المتعلمون والكتاب بالفئة الضعيفة وقفت التربية الشعبية تحذر وتنبه وانبرت تدعو الشعب والأمة الى ضرورة التروي واتخاذ موقف نقدي حيال خداع المتسلحين بالعلم والعرفان والمتسلطين على رقاب الجهلاء •

جاءت الثقافة الشعبية للحيلولة دون سيطرة الفئة على الكثرة ولمقاومة استبداد الذين يعملون ولخليص الفرد من ربقة الاستعباد الفكري ولجعله يتروى قبل تقبل آراء الذين يسعون لاستمالته والضغط على ارادته • تسعى الثقافة الشعبية لاثارة روح الوعي فتسلك مع المواطن سلوكا خاصا وتدعوه لا لحشد المعلومات التي لاتهم تصرفات حياته اليومية بل تطلعه على المشكلات التي تعترض سير حياته فتعلمه كيفية الاستفادة من مطالعة الصحف ومن برنامج اذاعي مهما اختلف نوعه وتدفعه لتفهم حقوقه وواجباته والعلاقات القائمة بينه وبين رب عمله، تسعى الثقافة الشعبية الى تزويد العامل بكل المعلومات التي تتعلق بالعمل وتدفع العامل والفلاح والكادح لحب العمل وتفهم المواطن متطلبات وحاجات مجتمعه وتشرح له سلسلة الاعمال الانتاجية والاستهلاكية • ان المشرفين على الثقافة الشعبية يبذلون قصارى جهدهم ليروا عمال البناء والنسيج والمغازل قد ألموا بالاضافة الى المعلومات التي تهمهم في كسب رزقهم بمعلومات ادبية وتاريخية وفنية واجتماعية ، يهمهم أن يروا عمالا قد فكوا القيود التي كانت تكبلهم وتأسرهم في عالم ضيق لينطلقوا ساعين وراء معارف لها صلة بالمجتمع الانساني • يهمهم أن يروا عمالا أبوا ازاحة طبقة بورجوازية ليحلوا محلها طبقة امبريالية فكرية • يهمهم أن يروا عمالا يتحلون بروح نقدية تسبر غور الامور للوصول الى جوهرها ويتسلحون بالجدل البناء الذي يصلح لان يكون السلاح الاول في التحرر وحجر الزاوية في بناء مجتمع صحيح •

لقد آن الاوان لانشاء مؤسسات خاصة تستطيع القيام بوظيفة التربية الشعبية • ان بعض الذين يشرفون على شؤونها يتطلعون الى مستوى صعب المنال فنحن لانشاركهم في الرأي بل نرى من الضروري انتهاج خطة لاترهق الراغبين في التشبع بالثقافة الشعبية فرواد دور التربية الشعبية يقومون باعبائهم واعمالهم المهنية طوال النهار أو يغتنمون فرصة راحتهم السنوية ليكرسوا شيئا من وقتهم للمطالعة وللندوات الثقافية فيجب معاملة رواد دور التربية الشعبية برفق ويجب الاستئناس بآراء ابناء الامة الذين تابعوا تحصيلهم بنفسهم وذاقوا الامرين لشق طريقهم نحو النور فهؤلا

يستطيعون لقربهم من قاعدة الهرم العلمي افادة الآخرين من خبرتهم وتجاربهم ٠

لقد اجري في العالم عدد كبير من الاختبارات لتطبيق الثقافة والتربية الشعبية فعلينا اختبار ما طبق للتحقق من درجة صلاحيته ٠ لقد ثبت ان الثقافة الشعبية تنتشر بواسطة بعض الاجهزة التقليدية وبعض المؤسسات الحديثة نذكر منها ٠

١ ــ مدارس القرى والريف :

يجب أن نطور مدارس القرى والريف وان نجعلها مصادر اشعاع ثقافي لكي يقصدها المواطنون في الليل بصفتها مراكز ثقافية يشرف عليها اخصائيو التربية الشعبية الذين يعيرون اذانا صاغية لاسئلة رواد دور التربية الشعبية ويحلون مشاكل ابناء الشعب والأمة ٠

٢ ــ مراكز التجمع :

يجب ان نبعث حياة جديدة في كل المراكز التي يجتمع فيها عدد كبير من المواطنين أي في الثكنات والمعامل والمصانع لكي تصبح بالاضافة الى كونها أمكنة للعمل مصادر اشعاع توزع فيها الثقافة الشعبية الصحيحة ٠

٣ ــ المكتبات العامة :

يجب ان نحث المواطنين على المطالعة ، لقد شعر كتابنا وادباؤنا بالوحشة والوحدة وهم يلتمسون جمهورا يصغي اليهم ٠

٤ ــ المسرح الشعبي :

يعتبر المسرح من أنجع الطرق لنشر الثقافة الشعبية فيجب علينا تنشيط الانتاج المسرحي وتشجيع حركة التمثيل وحث الجمهور على مشاهدة التمثيليات الشعبية ٠

٥ ــ المعارض والمتاحف :

يتأثر المواطنون بالتحف القومية الخالدة وبالانتاج الوطني وينظرون الى هذه الاشياء التي نفضت عنها غبار النسيان نظرة اعجاب واجلال واحترام ٠

٦ ــ دور الاذاعة والبث والتلفزيون :

تسعى هذه الدور في الجمهورية العربية السورية الى الاكثار من البرامج التثقيفية والوثائقية لتوسع آفاق تفكير المواطنين وهي تقوم بدور فعال في ايقاظ الشعور القومي وفي احياء الوعي الفردي ٠

٧ ــ مراكز التربية الشعبية :

تقيم هذه المؤسسات في الاحياء المزدحمة بالسكان مراكز تربوية كانت تسمى سابقا بيوت الشباب وهذه المراكز تتلافى نقص التربية العائلية وتوزع ثقافتها على النساء اللواتي حرمن من العلم واللواتي يسعين لكسب معلومات صحية وحذاقة في الاشغال اليدوية مع شيء من المعارف المدنية والاجتماعية ٠ انها تدرب خاصة البالغين والرجال على نشاطات رياضية واعمال فنية وتعلمهم صرف اوقات فراغهم في اعمال مجدية ونافعة فتوزع عليهم قسطا وافرا من الثقافة العامة وتنمي فيهم روح المبادهة فينشؤون فرقا تمثيلية وموسيقية ويخرجون أفلاما سينمائية قصيرة ويتعلمون كيف يتصرفون بأوقات فراغهم وكيف يكرسونها لهوايات تصدهم عن ارتياد المقاهي ودر اللهو الرخيصة ٠

لاحظنا ان مؤسسات التربية الشعبية عديدة تتعهد أكثرها الدولة لاننا لانستطيع تسليم أمورها لفئة معينة قد تتحكم بمقدرات المواطنين ، بل يجب تطوير الاجهزة لكي تضطلع بكافة اعبائها ولكي تحاول رسم ملامح الحضارة العربية وصورة واقعنا الاجتماعي ٠ ان المواطنون متعطشون لثقافة شعبية ينهلون منها معلومات تنمي وجدانهم وتجعل منهم افرادا يعون مسؤولياتهم في عالم يتحدث بالارقام والاحصاءات والانتاج والاستهلاك ويبغون عالما أفضل لهم ولاولادهم واحفادهم ٠

من خصائص التفكير (بقية)

ها نحن في خطوة ثانية قد ربطنا الفكر بمعاني المسؤولية عن الحقيقة ، وحرية الوجدان وشرف النفس • وزيد في خطوة اخيرة أن نشد الفكر الى الحياة والواقع والعمل •

لقد قلنا في البدء ان الفكر يستيقظ عند مجابهة الصعوبة • والصعوبة حاجز في طريق الحياة ، سواء أكانت حياة داخلية روحية أم حياة عملية • فالفكر مرتبط بالواقع لانه استجابة حية لمشكلاته الراهنة • وما الحلول التي يقدمها الا الوسائل العملية لفتح الطريق أمام التقدم • أما الفكر الذي لا يتحول الى عمل أو الذي ليس له مردود واقعي ، فهو فكرسطحي هزيل • والاصح أن نقول انه ليس فكرا على الاطلاق • ذلك أنه لم يكن عديم الاثر في الحياة • فاقد الصلحة بالعمل • الا لانه لم يميز بين المشكلة الحقة وبين المشكلة الكاذبة فأساء اختيار موضوعاته وضل طريقه • ان الفكرة قوة ، فان لم تكن قوة لم تكن فكرة اصلا • الفكرة أداة عمل • أداة تلاؤم وانتصار • وما الفكر المجرد المبتور عن جذوره في الحياة سوى خرافة ، ذلك أن الحياة الانسانية ارادة تحرر ، تحرر من الخوف ومن العبودية ومن الحرمان • وليس الفكر الا وسيلة هذا التحرر ، ينير طريقه ويعين له وسائله • فالفكر والعمل اذن لا ينفصلان ، كل منهما يدفع الآخر وهذا يعني ان الفكر في جوهره لا يقتصر على فهم الوجود في مستوياته المختلفة وانما ينزع الى تغيير هذا الوجود والارتقاء به •

لقد انتهينا من رسم الاطار العام للفكر وتحديد خصائصه الجوهرية • انه قبض على المشاكل التي يفرضها الواقع وتجاوز لها تجاوزا فعليا • انه بكلمة أوجز ، ازاحة العقبات من طريق الحياة وتخطيط للعمل يضمن له النجاح •

الجمالية في اللفظ (بقية)

في محالها ، وكيفية استدعائها وتناسقها وانسجامها ، واخذها برقاب بعضها بعضا ، حتى ليمكن القول : بأن هذه الكلمات هي وحدها التي يجب أن تحل محالها من بين كل مفردات اللغة — على كثرتها — ولا يمكن أن نستبدل بها غيرها من الالفاظ •

أما تسلسل الصور أو البناء المنطقي : فان الوادي المطلول يكون حييا ومتحليا بالنور والاريج ، ويصبح النزول به — وهو على هذه الشاكلة — حاجة طبيعية ملحة •• ثم جاءت لفظة « لمّا » الحينية لتضع الزمان بجانب المكان ، ليكون للقول مرتسم في الذهن ، وتصور في الخيال • لان الذهن والعقل يتطلبان الحدود ، ومتى حصل الزمان والمكان ، اطمأن العقل ، وهدأ الذهن ، ودخلت الحادثة في حيز الحصر والامكان والتصور ويتم الحكم •

وهنا ندرك أنه بقيام الزمان والمكان في التصور والنزول في الوادي الطليل بالانداء توفرت الاسباب الخارجية المثيرة للحواس فتم التداعي واستحضار الصور فتذكر الشاعر حبيبته •

وانظر كيف «نكّر» الشاعر لفظة منى لتكون شائعة في جنس الامنيات العديدة وكيف «عرف» لفظة الاماني الاخيرة في قوله : فكنت الامانيا والمعرف يستغرق كل الجنس لا بعضه •

ولو أردنا استقصاء الجمال في هذين البيتين لأعوزنا وقت أطول ، وجهد أوسع • ولكن حسبنا اننا أشرنا بعض اشارة ، ودللنا بعض تدليل على الجمال المتدفق منهما وحسبنا ان نعلم ان العرب في بداوتهم كانوا أميين لا هادي لهم الا طبيعتهم الصافية وذوقهم السليم وحسهم المرهف فجاءت آثارهم مناهل جمال وغدران فن ، عجز عنها المتأخرون وتنكر لها الشعوبيون الحاقدون •

الحب

مسرحية بثلاثة فصول

تأليف : بول جبر الدين

تعريف « الثقافة »

خلاصة الفصل الاول

يدور ما سبق من هذه المسرحية حول حوار يتناول حبا قديما ودفينا بين زوجين (هيلين وهنري) ، تسرب السأم الى حياتهما الهادئة الرتيبة في دار ريفية وبين أحضان طبيعة ناعمة ، ما كانت الا عبئا فوق ما يحملانه بصبر ومرارة .

الى أن قدم الى المقاطعة (شالانج) وهو صديق قديم وحميم للزوج . حسب هنري ان وجوده بينهما قد يدخل الى نفسيهما بعض ما فقدتاه من وحدتهما . الا ان شالانج وقد راقه جمال هيلين وصفاء نفسها شرع يتحبب اليها ويكثر من التردد عليهما والتودد للزوجة التي ضاقت ذرعا وبدأت تتبرم من وجوده فأبدت لزوجها مخاوفها وطلبت اليه فصم عرى هذه البادرة الخطرة وان يغلق الباب دونه ، الا ان الزوج وقد عزم في قرارة نفسه على ترك زوجته تتصرف لوحدها ليتكشف له مدى ذكائها وبالتالي حبها الاكيد له رفض طلبها لتيه داعب خاطره وعنفوان أيقظ شعوره برجولته .

المشهد الثاني

هيلين ـ هنري ـ شالانج

شالانج (يدخل)

صباح الخير ياسيدتي

هيلين (بفتور) صباح الخير شالانج

شالانج ما أجمل داركم

هيلين : هذا في الواقع رأي عين الحقيقة فليس لي في هذا الامر من شيء فقد نظم زوجي كل الاعمال .

شالانج : اعلم ان له ذوق رفيع (ينظر من خلال الباب الذي ظل مفتوحا) ، ما أروع خط الافق هذا كأنه اللحن الصافي .

هنري : انظروا كيف ان اشجار الحور المنتصبة تضفي من حنانها الأداء المطلوب .

شالانج : لقد أحسنت التعبير جدا . .

هنري : كان هنري الرابع يسمي هذا المكان .. أجمل بقعة في مملكته ، فرنسا .. ان وجود الكثير من المياه يهبنا هذه الاشجار الجميلة .

هيلين : ان زوجي يخفي عنك أن هذه الرحاب من صنع يديه فهو الذي حفر البحيرة وهو الذي نسق هذا الدثار من الزهور في موضعها .

شالانج : ماذا ! أكل هذا من صنع يديه ؟

هنري : لا أنا لم أعاند الطبيعة ، بل أعنت الطبيعة على اضفاء بهائها فتجلى جمالها مع رعايتي وصبري المحب .

شالانج : يبدو أن لم يعد يخفاك شيء من هذا البلد . .

هنري : لا يستطيع المرء أن يعرف بلدا جيدا ، وانني أسعى جاهدا لمعرفة بلدي فالمعرفة فقط هي التي تبرر الملكية ..

واذا غفر لي الفلاحون امتلاكي هذا الاقطاع الجميل فلأنني اعتبر أحسن من يعرف هذه المنطقة

فهم يقصدونني من بعيد وأنا أعتد بذلك ، لقد ملأت هذه الارض نفسي بهجة فلشد ما وجهت اليها عنايتي .

شالانج : وأنت ياسيدتي ، أتحبين هذا البلد ؟

هيلين : أنا ؟ أنا لن أستطيع أن أعيش بعيدة عنه ، وأود لو أقضي فيه كل العام . لم أعد أحب باريس ، فقد كرهت عالمها فهنا لي زوجي لوحدي ، ونحن سعداء بوحدتنا .

(تذهب فتستند على كتف هنري)

شالانج : الا أن ، الشتاء ...

هيلين : الشتاء ، ان الشتاء فاتن بعرائه الممتد وهنالك المنزل بدفء نار الحطب .

هنري : حذارك ياعزيزتي ، ان زوجتي تبالغ في المديح واقناعك بوجهة نظرها ، واني منصرف لاتركك بين مخالبها .

هيلين : انك عائد .

هنري : بعد برهة ، فلي ما أقوله الى كوتنيه .

المشهد الثالث

هيلين — شالانج

هيلين : لقد أحطتني بالكثير من الرعاية ياسيد شالانج فقد سعدت هذا الاسبوع بزيارتك المفاجئة .

شالانج : انني أعلم ياسيدتي انني أجاوز كل الحدود . واذا وجدتني لجوجا بينما أتعمد الكثير من الحذر ، عندها يشتد شقائي .

وأما هذا المساء فقد جئت بمبرر أعتقد أن زوجك اطلعك عليه .

هيلين : انني لا أذكر .

شالانج : اوه ، جئت فقط لاتشرف بدعوتكم بعد غد للعشاء . ولما وجهت الدعوة لزوجك ترك لك الأمر الأمر .

هيلين : كلا اذا ، طالما أنيط بي تلبية دعوتك لانني مرهقة في هذا الظرف وأنا بحاجة للراحة والهدوء .

شالانج : دعك من هذا ، انني استميحك عذرا اذ اسأت انتخاب يوم الدعوة . وسأنصرف تعسا اذا لم أحمل في عودتي صورة فاتنة أنسى بها الندم وخز الضمير .

ما أروع ثوبك هذا ياسيدتي !

هيلين (بفتور) : أنت لطيف جدا .

شالانج : هنالك دوما فتنة مذهلة في ثيابك بينما تبدو بسيطة ، فهي تشابهك اذ لها مزيج من صفاء الذوق ورونق البساطة .

هيلين : باللهعليك ياسيدي ، ترفق في كيل مديحك فكثيرا ما تطريني .

شالانج : انني أقول فقط ما أعنيه .

هيلين : انك اذا لطيف ودمث جدا .

شالانج : انك لاتحبين تجاوز الحدود ، فلا الكثير من النزهات ولا الكثير من المديح ولا الكثير من الصراحة . وانك ياسيدتي تذكرينني بتلك الحدائق المنسقة على الطريقة الافرنسية ، فكل شيء فيها مستو ومحدود ومنسق ، لم يترك فيها أي مجال لتدفق سيل النبات بينما يتوجب على الطبيعة أن تخضع وتطيع أنظمة معينة .

هيلين : هل تعني نقدا في قولك ؟

شالانج : لقد منعتني من المديح !

هيلين : أنت ، هل تفضل الغابات ؟

شالانج : وأنت ؟

هيلين : انني أمقت الغابات الكثيفة فانها تمزق

الثياب ، وامقت هذه الظلال المخنقة ، والمنعطفات التي تدور وتدور دون أن نعرف نهايتها .

شالانج : ولكن في الحدائق يدور الانسان حول نفسه (فترة ، يحدقان في بعضهما) ، سأتركك الآن.

هيلين : كان بودي أن أستبقيك لولا علمي ان وقت رجل مثلك ثمين ويؤسفني أن أكون مدعاة لضياعه .

شالانج : طالما طلبت الانصراف ، فلم تحاولين التخلص من وجودي ؟ وما شأنك هذا النهار ، فانك تبدين شديدة التحدي ، أ أسأت اليك ؟

هيلين : أجل ، اذا أردت الصراحة ، لقد كنت سعيدة بمعرفتك فقد حدثني زوجي عنك منذ عودتك الى فرنسا باسلوب ندر أن يستعمله . اني أتبنى آراء زوجي واقاسمه توا اعجابه ، ولقد عبرت بطلاقة عن بالغ سروري . الا انني لم ألق منك ردا لائقا على ودي الصادق . لقدسعيت لانشاءعلاقةمرح فيما بيننا ، تلك العلاقة العادية بين رجال ونساء هذا العصر ، وقدتدعي أن ذلك قليل الاهمية الا انه بعيد المدى .

شالانج : أجل ياسيدتي ، وردا على تصرفك الذي بدا لتوه قاسيا ، أريد أن أوضح ما قلت ...

هيلين : لا طائل من ذلك فأنا لا أريد مناقشة هذا الامر. لقد فوجئت بتبدل موقفي وطلبت الي الاسباب وقد أدليت لك بها وهذا كافي .

شالانج : اسمحي لي أن ..

هيلين : كلا ، لقد أخطأت ، وقد أحسنت صنعا ويسهل عليك اقناعي ، والآن سنكون زوجي وأنا سعداء باستقبالك في دارنا ، واحترامك (فترة) . فهل نحن أصدقاء (لايجيب) بلى ، نحن أصدقاء .

شالانج : ليكن ..

هيلين : ليس هنالك سوى التفاهم (بلطف) ، اجلس (يتردد) اجلس (يفعل) ، ما أجمل النهار .

شالانج (واجما) :

أجل ، النهار الذي مضى ، انها مظلمة هذه الايام التي تهبط وتتفرق هكذا ، مظلم هذا الوقت الجميل الضائع .

هيلين : لا ، انه لم يضع ، فالايام الجميلة لاتضيع أبدا .

شالانج : صحيح ، انك سعيدة .

هيلين : أوه طبعا سعيدة .

شالانج : انك متواضعة فأنت لا تطلبين من الزمن أن يحرص على ما وهبك ، لانك تعرّفين السعادة بزوال الشقاء .

هيلين : انك مخطىء ، انني اسمي سعادة السعادة نفسها .

شالانج : الحياة عديمة اذا توقفت الرغبات .

هيلين : الرغبة ليست السعادة ، انني سعيدة ولن أتحسر على الايام الماضية التي تترك في نفسي الذكرى التامة ولقد سبق ان حدثت زوجي بذلك . من الممتع أن يشيخ المرء دون أن يفقد شبابه وعندما يخلف وراءه كنزا من الذكريات يزداد ثراؤها مع الايام .

شالانج : الذكرى .

هيلين : لم هذا الوجوم .؟

شالانج : ليست الذكرى بسليمة ، اني أمقت الماضي حتى انني لا أحتفظ بأية قصاصة من الورق ولا رسالة ، ولا سجلات ، فقد علقت آثار حياتي ، آثار الفترات الخاطفة السعيدة والخادعة كغيرها . لاني أعتقد ان المستقبل يؤمن لي الكثير من عناصر السعادة والمجد . وما نحن الا انسان راغب في التخلف والسير الى الوراء . كفانا اطراء هذه الغريزة ، فلشدما تحتفظ ذاكرتنا بالكثير من الصور ، ويزداد عمق ما نخلفه وراءنا من أثر .

هيلين : سيأتي اليوم الذي تمسي فيه ذكرياتنا ثروتنا الوحيدة •

شالانج : الوقت اذا ملائم فلنعد العـدة ، وحتى الآن علينا أن نجمع أكبر ذخر من هذه الثروة ونعيش بنهم دون أن نفقد الزمن ، فالحياة تمضي ، ألا تشعرين كيف تنصرم الايام وتتداخل فتضيع •

انني اذكر وارى نفسي أصل للمرة الاولى الـى داركم ، اسأل الطريق بعد أن ضللت الباب الكبير • واني لا أزال أذكر ايضا النظرة الاولى لداركم مـن خلال الاشجار فهي تختلف عن نظرة الآن ، ولقد قدمت من حديقة الورد ، وكأنك الآن وفي هذه اللحظة بينما مضى شهر ، أجل شهر ، هل تذكرين ؟

هيلين : صحيح ، كان ذلك منذ شهر •

شالانج : أتذكرين أيضا ما يحمل هذا النهار الذي ينساب ويفر كاللصة • أتعلمين أننـا لانعيش الا مرة واحدة وان المدى يتقلص باستمرار مـن قدرتنا ، ألا تشعرين عندما تتقدمين نحو الحياة بكل ما تحرمنا الحياة منه ؟ عندما يكون الانسان يافعا يعتقد أن كـل شيء ممكن ولكن كم يلقى من عقبات وحرمان • أنا ، لقد يئست دوما كل ما لن أملكه ، لن أكون بحريا ، لن أكون عالما، لن أكون فنانا، ومن ثم هذا ممنوع وهذا مستحيل • ولطالما فكرت الآن بالآخرين، انهم يغيضون هؤلاء الآخرون ولا سيما ياسيدتي عندما ينظر الانسان لواقع نفسه ويرى الآخرين أمامه •

يخيل الي اننا كل يوم تتخلى عن سلطة جديدة• ان كل ثانية من حياتنا ثمينة للغاية وما الحياة الا لمحـة قصيرة •

هيلين : نعم انها لمحة ، ونحن النساء نعرف ذلـك جيدا فانها تمر بنا بسرعة تضاعف سرعة ما تمرون بها ولهذا يجب أن نعيش هذه اللمحة برقة وهدوء وتفهم • ليست الحياة مديدة لتتسع لاكثر من سعادة واحدة ، والذين يرومون انتهاز الكل لاينالون شيئا في نهـاية المطاف • فيجب اذن أن نرتبط وبشوق بأمنيةٍ واحدة ونحرص على رعايتها •

شالانج : أمنية واحدة ، خطر ذلك فقد يتسرب التعب •

هيلين : لا يتعب الانسان قط مما هو جميل حقا فها أنا اشاهد هذا المنظر من غرفتي كل يوم ومنذ سنين ففي كل صباح يستهويني ويدهشني • واني أفكـر أمامه كل صباح مرددة اعجابي به فهو دوما جديد في قلبي ، ولا يستنفذ الانسان السعادة الحقيقية لانها تستوعب كل ضروب السعادة • ففي كيان مـن نحب تنحصر كل الكائنات وهكذا تستقر الحياة كلهـا فـي حديقة •

شالانج : لا لا ، الكائنات متباينة والامصـار مختلفة ومن الاجرام أن نحصر العالم في كيان فقير للانسان •

هيلين : كيف نحقق المعاليم الكاملة اذا لم نستطع تحديد أنفسنا •

شالانج : آه ، أجل ، الكمال

هيلين : بلا ريب •

شالانج : ان الكمال جدار فماذا تعملين عنـد الوصول اليه ، انك تتذوقينه ، ومن ثم تتذوقينه أيضا، الآن ، غدا وكل يوم • فالهدف الذي لايبعث جـديدا يمسي حدا وهنالك أهداف وراء الهدف المنشود ومئة ألف كمال بعد الكمال • ألم تستمعي في قرارة نفسك لثورة النساء الاخريات التي كان من الممكن أن تكونيها والتي تختنق فيك فلو اطلقت سراح حياتهـن لفتنك، هل تفكرين فيما لو كنت امرأة اخرى ؟ ما أنت الا جزء صغير من نفسك الحقيقية •

هنالك شيء آخر، هل تحسين بسحر كلمة التحول، ضمن اطار آخر وبين وجوه جديدة ، بديل آخر عنك ،

ان ما لديك تام أنا أعرف ان مقاطعتكم (شارانت)على غاية من البهاء بماضي قصورها التاريخية . ان داركم تامة الابعاد والالوان والتنسيق وهذا المنظر ، انه تـام ولكن ياسيدتي هنالك العالم .

هيلين : اسكت ارجوك فقد أذهلتني كيف أصبح انسانة ثانية ، ان العالم مخيف لكنه ليس سوى سراب، أجل ، هل تعتقد بأنك مهما أحسنت تصوير الخيـال قادر أن تعكر أفكاري ، لا لا وجـوابي اليك : ان جوّاب الآفاق الذين تعرفوا على أجمل اركان العـالم يفضلون دوما سماء البلد الذي ولدوا فيه .

شالانج : ليست الحقيقة فيما يدعون وتأكدي من صدقي ، فان القرية التي ولدنا فوق أرضها ، انهـا تحرق أقدامنا، فنحن لانطؤها الا لتستنفذقوانا بالرحيل عنها ، كيف نحب أرضا ساقنا القدر لنلد فوقه وما كان لنا حق الحرية في انتقائه .

هيلين : أنا اصطفيت مقاطعة (شارانت) واختارها زوجي فنحن على وفاق .

شالانج : أ أنت موقنة بأنكما على وفاق في ذلك؟

هيلين : طبعا ! ان لي ميولا كميول زوجي ، فاذا اقترنت بزوجي فهذا يعني بأن لي نفس ميوله .

شالانج : كم كان سنك عند الزواج .

هيلين : عشرون عاما

شالانج : وأنت تعتقدين ان الانسان يعرف ماذا يحب في العشرين ، لقد اعتنقت ميوله لانه كان أمامك، ولأن في المرأة حاجة للاعتقاد والرضوخ . لقد أصغيت لحديث رجل ساقك القدر الى جانبه .

هيلين : احذر ولا تنس عهودنا واعلم بأنني تزوجت عن حب وانني قصدت الحب فقط في الزواج .

شالانج : ولكن ما هـو حب فتاة العشـرين ، أتعتقدين حقا ان الفتاة تعرف نفسها وتعرف ماذاتعطي، اني أتساءل كيف يرضى حب فتاة صغيرة زهو الرجل. ما كنت أستطيع ابدا الزواج من يافعة ولا أن اهـوى المجهول من هذا الكائن الغامض والناقص ، والحب الثاني هو الذي يعتبر عند المرأة فهو اصطفاء وانتقـاء واع لانسان وصل الى نفسه ، فهو يعرف قدره وارادته، فالمرأة تهب نفسها عند تهب نفسها، وأما حديثة السن فهي دوما قريبة المنال .

هيلين : كفى ان ماتقوله فظ ، فظ وخطأ ، انك تجرحني. فأنت ترى بوضوح ان المرء لايستطيع التحدث اليك بحرية دون أن يندم فورا ، انك تفقد كل الحدود .

شالانج : عفوك ، الا انني موقن مما سبـق ان قلته لك .

هيلين : احتفظ اذن بيقينك، فان هذا الضرب من الاحاديث يزعجني (تتركه وتقترب من الباب منادية): هنري ، ثم تمر أمامه وتقول : قل لزوجي ارجوك ، انه هناك يتحدث مع البستاني ، قل له انني اريده أن يحضر ، أتريد ؟ (ينحني فتجيبه بفتور) ، شكرا .

شالانج : مدي الى يدك (تشير اليه بالرفض) ، كم أنت سيئة الخلق .

هيلين (بلهجة تحد) ألا تريد أن تنادي زوجي ؟

شالانج : بلى ياسيدتي (يخرج) .

المشهد الرابع

هيلين — هنري

هيلين (بحرارة) : لكم طال غيابك(ادخل ياهنري) ما أجمل هذه الأمسية ؟ هل الطقس جميل ؟ أتحبني ؟

هنري : نعـم .

هيلين : أتدري ؟ لقد تحدثت اليه .

هنري : آه ، أصحيح .

هيلين : لقد جاء يدعونا لما بعد غد ، وقدرفضت.

هنري : آه . .

هيلين : ثم عمد الى اطرائي فرجوته الوقوف عند حده ، ثم حدثته بكثير من الوضوح بكل ما وجب علي أن أقوله له ، بأننا نكن له الصداقة والتقدير الا انني بدأت أضيق ذرعا من تصرفه وعليه أن يبدله اذا شـاء أن يظل صديقنا .

هنري : حسنا جدا ، وماذا أجاب ؟

هيلين : لم أترك له الوقت ليجيب وقلت له لا أريد أن اناقش هذه الامور معك ثم بدلت الحديث .

هنري : عظيم ..

هيلين : ألم تعد تحقد علي ؟

هنري : ما كنت أبدا حاقدا عليك ..

هيلين : هل أنت موقن

هنري : موقن .

هيلين : انظر ، ان الارض كلها ورود ، وجذوع الاشجار بنفسجيةاللون ، وهذهالسماء ، كأنها شاطىء مشحون بكثبان من الذهب الاشقر .

هنري : أصحيح ؟

هيلين : انها جياشة كاللهب وناعمة كالحرير القديم فهي تهدهد وتحرك النفس بآن واحد (تعتمد عليه ، وتقول حالمة) كأنمايريد المرء أنينطلق فيهذه النعومة اللاعجة(ينتظران ، ينظران الى السماء) ، تعالواجلس قليلا الى جانبي وكن كثير الرفق بي .

كيف تريده أن يشعر بأنك لي اذا تركتني دوما ؟

هنري : لقد كان ضروريا ما قلته هذا النهار ، ان نفسك وحدها هي التي تشعره بأنني لك .

هيلين : ياله من رجلغريبالاطوار،يشعرالانسان ان له ميل لتذوق الحياة والحركة ، كان يحاول جاهدا ليظل هادئا ولقد حمل في قلبه ما قلته له ، انه يشعر بوجود فكرة ثابتة في نفسه تنطلق منها بالرغم عنه،لم يحدثني بما لا أطيق سماعه ، كان يتكلم بصورة عامة الا ان هنالك كناية تحت كل كلمة ، تأكد انني أحسنت الرد عليه ، ان له آراء صبيانية فلقد حدثني عن أشياء ... وليس في الواقع سهلا الصمود أمامه فله ردود مقنعة قد تلجمأحيانا ، وما كنتدوماأجد الكلمة المطابقة للرد عليه ولا الحجة اللازمة .

هنري : لا مجال للأدلة ويكفي ان تنزلق احاديثه فوقك دون أن تمسك ويجب أن تشعريه بذلك .

هيلين : طبعا ، ومع ذلك كنت أفضل أن أرد عليه حفظا على كرامتي ، انه جاب الكثير من البلدان ورأى العديد منالاشياء وهذا يضفي علىكل ما يقولهظاهرة من الحقيقة تستطيع أنت أن تهدمها بكلمة واحدة ، أما أنا فقد غدوت كسلى للتعبير عما يدور في خلدي وهذا عادي فأنت تجيد دوما كشف ما يعتلج فينفسي أكثر مني .

هنري : ماذا قال لك ؟ أعطني مثلا عما قال !

هيلين ـ لقد قال لي ، لم أعد أدري ، لقد قال أنه يجب أن نعيش بشوق متزايد دوما ونستهدف سعادة جديدة .

هنري : كأنمن السهل ان يصل الانسانللسعادة، وان ينجح في الوصول اليها ، ان هذا من الاعجاز والطرافة .

هيلين : لقد قلت له ذلك ، الا انه رد قائلا « من الخطأ الفادح أن نحصل على شيء واحد فقط » ان قوله هذا يحتمل الصدق ، فانجاب الاولاد في العائلة هبة ربانية جميلة ولكن وجود ولد واحد في العائلة مرعب (سكون) وأضاف قائلا ان الانسان يضيق ذرعا عندما يزج بنفسه ضمن الحدود ، وأننا نطوي بين نفوسنا شخصيات مختلفة يجب أن نطلق عقالها لتتفتح ، واننا لانشك فيما يمكن أن نصبح فيما اذا انتقلنا الى اطار آخر ضمن حياة جديدة .

هنري : هكذا كانت صديقتنا انطوانيت تفكر . وأنت تعرفين نتيجة تجربتها المزدوجة ، فالانسان لايتجدد بل يضيع اذا تفرق .

هيلين : لقد قلت له ذلك أيضا .

هنري : ان اتباعنا نفس الاتجاه دوما والتنقيب عن نفس المادة ، يؤدي بنا يوما لنشبع ميلا معلوما وكاملا في اعماقنا .

هيلين : الكمال .

هنري : ليس من شيء يرضي سوى الكمال .

هيلين : لقد قلت له ذلك ايضا لكنه قال « وما العمل عند بلوغ الكمال ، دوما هذا الكمال ، ودوما نفس الكمال ، دوما وأبدا » وخذ مثلا ان دارنا كاملة ، مقاطعة شارانت كاملة أيضا ، فهذا العام دارنا والمقاطعة ، والعام المقبل دارنا في هذه المقاطعة ، وفي العام التالي

هنري (وقد اصفر وجهه) ..

أجل ، وماذا تريدين غير هذا ؟

هيلين : لقد قال ، هنالك متسع في العالم وتبدل رائع في الحياة ، وقال ان هنالك أشياء أخرى ، يوجد ... وأخيرا لا أدري ، لعلك تعلم الاشياء الاخرى .

هنري : طبعا ، ان كل بعيد رائع ، وان مالا نعرفه يرضي كل الاحلام ، هذه الاحلام .

هي ترسبات ضباب الطفولة التي تظل عالقة في أعماقنا . لقد تحدثنا هذا النهار ايضا عن هذه الجنة السخيفة التي سبق أن جرينا وراءها . انك تفضلين أن يكون حاضرنا أكثر واقعية وأكثر حكمة وسعادة . أليس كذلك ؟ أتفضلينه هكذا ؟ هل تسمعين ؟

هيلين (بعيدة) : نعم ، أسمع .

هنري (بعد فترة صمت) أهذا كل ما قاله لك ؟

هيلين : لقد قال لي أيضا « فتاة يافعة » .

هنري : فتاة يافعة ؟

هيلين : لا ، لا ، لاشيء .

هنري : أقال لك : فتاة يافعة ؟

هيلين : لم أعد أذكر .

هنري (بعد فترة صمت) :

من الجازم ان في الحقيقة شيء من القسوة فالصالح يمتزج بدونه وربما بالسيء ، بشكل يجعلهما غالبا مبهمين ، فالحياة الزوجية لها أخطارها وليست ساعات العمر كلها جميلة ويحتمل أن يفقد كل منا أعصابه أحيانا فيجب أن نحتفظ بالثقة وألا نرى الحقد مكان الصفاء .

ان من يعدم الصبر وييأس أو يثور لايرى في اتباعه طريقا جديدة سوى نفس عناصر الفشل . ان نجاح السعادة في الزواج تعود في الحقيقة لكون الزواج رباط محدود ومعلوم . والذين يحسبون انهم يستطيعون معاودة التجربة يعاودون الى الابد ، أتسمعين ما أقول ، ياهيلين ؟

هيلين : نعم ، نعم

هنري : لم تسمعي ؟

هيلين : بلى سمعت ..

هنري : ماذا قلت ؟

هيلين : لقد قلت : الكمال ، الرابطة ، القرية التي ولدنا فيها .

هنري : ومن ثم ؟

هيلين : هذا كل ما قلته .

هنري : أرأيت كيف لم تستمعي لحديثي ؟

هيلين : انك تردد دوما نفس الاشياء .

هنري : لقد قلت لك هذه المرة شيئا جديدا ، صحيحا يكاد يقلقك ، وأقول لك : هذا ما وجب سماعه (بدت مبحرة بحذر) ماذا بك ؟

هيلين : لاشيء .

هنري : أيزعجك ما قلته لك ؟

(البقية في العدد القادم)

قصائد عابرة

لشاعر الهند طاغور
تعريب : يوسف عبد الاحد

— ١ —

لك أنا كالليل أيتها الزهرة البتول .
أستطيع منحك أمانا وهدوءا يستره الظلام
عندما تفتحين عينيك في الصباح .
أتركك في عالم يملأه طنين النحل وشدو الطيور .
وآخر هدية أمنحها لك
دمعة تساقط في أعماق ذاتك
فتجعل ابتسامتك أكثر عذوبة
وتضفي على مظهرك مرحا
يمحو كآبة النهار

★ ★ ★

— ٢ —

ليتني سجين
كالغيث المحبوس في سحب الصيف
سر يطويه الصمت
استطيع التجوال معه
ليت لي من أسر في اذنه
حيث تتلاطم الميـاه تحت الاشجار
وتنساب حالمـة تحت الشمس

★ ★ ★

هدوء هذا المساء
يبشر بقدوم وقع أقدام
لا تسأليني عن انهمار دموعي
فأنا أضعف من أن أعطيك جوابا
لانه سر في ذاتي
بل سر ذاتي

★ ★ ★

— ٣ —

مثل ساقية أنت
تنساب مياهها ضاحكة مترنحة
تتماوج بخفة ودعة
من خطواتك المتعثرة ينبعث غناء ساحر
وأنا أمامك كشاطيء وعر عسير الانحدار
أحدق بك في هدوء وصمت وغموض ..
اني أشبه بعاصفة هوجاء عاتية ..
تتدافع بشدة وعزم محاولة تمزيق كياني .
وبعثرة أشلائي
لتلقيني في دوامة الانفعال والحنين ..
أنت كومض البرق الخاطف
الحاد ، الرشيق ...
تعكرين قلب الظلمة الهائجة
متسللة في طرف ابتسامة زاهية

★ ★ ★

— ٤ —

عرفتك حيث يعانق آخر الليل طرف النهار ..
حيث يبشر النور الظلمة بمولد الفجر ..
وحيث تحمل موجات البحر قبلة شاطيء الى آخر
نداؤك الذهبي يأتيني من قلب الجلد الازرق البعيد
فأحدق في وجهك الوضاء .
من خلال غلالة الدموع .
فلا أدري ان كنت حقا أراك ..

ابن المقفع شهيد الفكر العربي

بقلم : عبد الكريم احمد الحمود

« ابن المقفع أول من اعتنى في الملة الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية لأبي جعفر المنصور » .
(القفطي في أخبار الحكماء)

ما أحسب الحديث عن عبد الله بن المقفع بجديد على الناس ولا هو بغريب عليهم اذا ما ذكر اسمه أو أتى الحديث عنه ، فلقد كتبت عنه في الماضي فصولاً متفرقة انتزعتها من وجداني ومن احساسي بعمق المسؤولية . ذلك الذي أضاف الى القضية الكبرى الاخلاص الفكري ، وأغنى الحضارة العربية بالافكار المضيئة ، فاستشهد مع من استشهد من الرجال الكفاءات الذين قدموا للامة العربية الجواب الافضل لأشد المعارك الفكرية خطورة على السلطة وقوانينها وهي بحق صرخة الضمير العربي في عصر العبودية والاستبداد . بعد أن حقق الانسان ما يصبو اليه فكانت الحضارة العربية بقيمها ومبادئها ورجالها من أرقى الحضارات وأرفعها شأنا وعلما . كانت الرسالة الاسلامية الطاقة الهائلة التي فجرت في جوانب الارض التشريعات القانونية ، ونظمت العلاقات الاجتماعية على أسس من الخير والمساواة لكل الناس على اختلاف مذاهبهم الدينية ، وهي الحضارة التي أعطت أوربا في عصورها المظلمة الطب والجغرافيا وعلمتهم الحكمة والفلسفة وفن العمارة ، ومن فهمي للحضارة وخصائصها قرأت وهضمت بوعي وادراك ، ابن المقفع وأدبه . هو واحد من رجالها وقائد فكري من فصائلها الطيبة واذا كنت أعني بهذه الكلمات شيئا وبهذه المقدمة البسيطة بعض الاشياء ، فلأن ابن المقفع يستحق علينا أن ننصفه تاريخيا وأدبيا وان نعيد له اعتباره رائدنا في ذلك الصدق والحقيقة العلمية وحدها .

حياته ونشأته

هو روزبه بن داذويه في مجوسيته وعبدالله بن المقفع في اسلامه وصاحب الأدب الصغير والأدب الكبير وكليلة ودمنة في العربية والبلاغة ، بصري النشأة والتربية ، فارسي الأصل تولى والده خراج فارس فاختلس شيئا من بيت المال فأمر الحجاج بضربه فتقفعت يداه وهكذا لقب بابن المقفع .

نشأ في ولاء بني الأهتم بالبصرة وكانوا قد اشتهروا بالبلاغة والشعر في الجاهلية والاسلام وكانت البصرة آنذاك حاملة لواء العلم والأدب قبل بناء بغداد . قيل عنه : (لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل ابن أحمد ، ولا في العجم أذكى من ابن المقفع) ومما يروى ان الخليل بن احمد كان يحب الاجتماع بابن المقفع ، فاجتمعا مدة ثلاثة ايام ولما افترقا سئل الخليل عن ابن المقفع فقال : ما شئت من علم وأدب الا انه أعلمه

أكثر من عقله .. وسئل ابن المقفع عن الخليل فقال: ما شئت من علم وأدب الا ان عقله أكثر من علمه .

أسلم ابن المقفع على يد عيسى بن علي، عم السفاح مؤسس الدولة العباسية، ويروى أنه قال لعيسى: قد دخل الاسلام قلبي وأريد أن اسلم على يدك .. فقال له عيسى: ليكن ذلك في محضر من القواد ووجهاء الناس، فاذا كان الغد فاحضر .. ثم حضّر عيسى الطعام فجعل ابن المقفع يأكل ويزمزم كالمجوس، فقال له عيسى: أتزمزم وقد آمنت بالاسلام ؟ فقال كرهت أن أبيت على غير دين .. فلما أصبح أسلم وسمي بعبد الله، وكني بأبي محمد، قال فيه الخليفة المهدي « ما قرأت كتاب زندقة الا وأصله ابن المقفع »، أما الجاحظ فكان في جولاته الأدبية ينشر كتبه باسم ابن المقفع .

لم تتوقف شهرة ابن المقفع لأنه كتب الأدبين الصغير والكبير وترجم كليلة ودمنة، ولم تتوقف شهرته لأنه أضاف الى الفكر العربي بعضا من الثقافة الفارسية والحكمة الهندية والفلسفة اليونانية ولكن ابن المقفع عاش القضية الانسانية بكل خصائصها العميقة وشمولها الواسع، وبكل رجولة وكبرياء أمسك بزمام المبادرة في عصر الأحداث الحاسمة من تاريخ الأمة العربية، وهنا موضع البحث في تحليل شخصيته، ففي الشام وهو غير بعيد عنها يشهد سقوط دولة بني أمية وافولها في سنة ١٣٢هـ ٧٥٠م ونهايتها المفجعة ومصرع آخر خلفائها (مروان بن محمد) في معركة الزاب الكبير، وعلى أنقاضها خلفتها الدولة العباسية، جديدة في كل شيء برجالها وشعاراتها وقيمها العقائدية التي جاءت بها عشية التفتح الاجتماعي على الافكار الثورية .

اتخذ العباسيون مدينة « انبار » عاصمة مؤقتة لهم، ومن ثم مدينة « الكوفة » لتكون مستقرا للخلافة الاسلامية وطارد ابو العباس السفاح كل أثر أموي بقي من الدولة المختفية وسقط الشهداء دفاعا عن الحرية والعروبة، ففي الشام بصيص من روح النقمة على العباسيين وفي « خراسان » تجمعات فارسية ومجوسية تستفز الحكم العربي وتشوه المقاصد العربية النبيلة وفي الكوفة بقايا من آل البيت تطالب بالثأر وتجدد عهد الدم الذي اقسمته في مكان ما من مدينة الكوفة .

وفي زحام الاحداث الدموية التي رافقت تأسيس الدولة العباسية حملت الزحوف الفارسية معها الى عاصمة الخلافة الموت والدمار ومن « خراسان » معقل القومية الفارسية والقلب المفكر للفكر الشعوبي، زحفت الافاعي المجوسية في جنح الظلام تطعن الاشراقة العربية في البصرة والكوفة، والأمل الكبير كان بذرة أولى عند الخليفة المنصور في اعادة الهيبة القومية، وكان ذلك حافزا للانتصارات العربية في شخص يزيد بن مزيد الشيباني قائد الجيش العربي[1] في عهد الخليفة هرون الرشيد، فتوفر للحكم العربي مثل تلك الشروط الحيوية لبناء الدولة العربية، فكان للفكر العربي رواده الأفذاذ عصارة تجربة الانفعال القومي الذي فجرته الثورة الاسلامية، في ذرى انتصاراتها المدهشة على الشعوبية فلا نستغرب اذا ما رأينا ان كل الاطراف المشبوهة قد شاركت بعد ذلك في القضاء على الحكم العربي وتمزيق جسم الدولة الاسلامية الى دويلات « بويهية » و « سلجوقية »، وكان عهد المنصور بداية المعركة مع الشعوبية ورجالها، فسحقها كان ضرورة تاريخية وأمانة قومية في عنق خليفة المسلمين، ففي عهد الخليفة الثاني اغتنى الفكر العربي بجلائل الاعمال الخالدة فانتشرت الترجمات الاجنبية في علوم الطب والحكمة والموسيقى والفلسفة وكان ابن المقفع احد الذين قامت على أكتافهم حركة الترجمة والتأليف وعن القفطي في أخبار الحكماء

(١) يزيد بن مزيد الشيباني من قواد الرشيد وكان له الفضل في القضاء على الحركات الشعوبية .

(ان ابن المقفع أول من اعتنى في الملة الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية لأبي جعفر المنصور) • وقد يتبادر الى الأذهان ان ابن المقفع قد اشتهر لانه ترجم أو كتب كليلة ودمنة وتحدث بلسان دبشليم وبيدبا وقد يتبادر الى ذهن من يقرأه ان باستطاعته أن يأتي بمثله ، ولكن ابن المقفع كان ممثلا للفكر العربي في عصر يقظة الأمة العربية وازدهارها ، ذلك لان حقيقة موضوعية من تاريخنا هي مزيج من الصدق والوفاء عاشت في نفس هذا المفكر وكان لها الاثر في تكوين شخصيته وتماسكها ، مزية ابن المقفع في التفوق انه كان وفيا للآخرين ناكرا ذاته وقد كشف لنا ذلك بنفسه عندما سئل مرة: من أدبك؟ قال «نفسي، كنت اذا رأيت حسنا أتيته ، واذا رأيت قبيحا آبيته» • ومن البديهي أن يكون للبيئة أثرها البعيد في تنمية شخصيته وتكوينه الفكري ، فالروح الفارسية والتعصب لبني جنسه لاتجدها فيما كتبه وترجمه • كان ذكيا غني العقل يختزن في أعماقه خلقا رفيعا ومناقب مثلى ومن أشهر ما يروى عنه ايثاره ووفاؤه ويروى ان عبدالحميد بن يحيى كاتب بني أمية لجأ اليه بعد مقتل مروان بن محمد • ولما دخل الجند بيت ابن المقفع يطلبون عبد الحميد ، قالوا لهما: أيكما عبد الحميد ؟ •• فقال كل منهما : انا •• وأوشك الجند أن يقتلوا ابن المقفع لولا ان صاح بهم عبد الحميد قائلا بأن لكل منا علامات وعلى الجند أن يتحققوا من الأمر ، ففعلوا ، وأخذ عبد الحميد فقتل سنة ١٣٢ هـ ٧٥٠م •

ومن خلال ظروف النشاط العملي تحولت المواقف النبيلة للمفكر العربي الى حقيقة واقعة فيها روعة العمل وصدق الكلمة التي خنقتها الظروف الشاذة وصنفت فيها الطبقات الى أسياد وعبيد أرقاء وموالي وفئات أخرى تجنح الى اليسار ولم تتمكن من الابداع في ظل الارهاب فانتصبت ظواهر ذلك العصر عارية على حقيقتها تدين التعسف والظلم ، وظواهر ذلك العصر لم تبصر طريق الانسان ولم تدرك ان الجنين الذي ولد في ظل الرسالة الاسلامية كان قمة الحياة في دبيب الحركة الثورية •

وبعد •• أين الزندقة فيما كتبه ابن المقفع !؟ وهو القائل (ابذل لصديقك دمك ومالك) وفي هذا يأتي ابن المقفع شاهدا صادقا في اقواله التي دونها في الأدبين الصغير والكبير ، وفي حقل الترجمة جاء كليلة ودمنة علامة واضحة للعطاء الفكري ونضارته ، وهو فوق هذا مترجم يتميز بتناسق أفكاره وترابط معانية فلاتعقيد فيها ولاابهام • غايته القصوى أن يترجم روح عصره دونما تكلف أو عناء ، وغايته في ذلك تجنب الغلو والزخرفة والابتعاد عن اسفاف القول ولقد حذر من ذلك بقوله (اياك والتتبع لوحشي الكلام ، طمعا في نيل البلاغة • فان ذلك هو العي الأكبر) وسئل لم لاتقول الشعر ؟ ـ وكان يقوله أحيانا (الذي أرضاه لايجيئني والذي يجيئني لا ارضاه)وبهذا المنطق السليم ارتفع ابن المقفع على سواه من مفكري عصره •

وسواء كان ابن المقفع « زنديقا » خارجا على قوانين السلطة، أو انه عاش يستجدي الخليفة ويترجم له التراث الاجنبي فان من حق التاريخ العربي أن يفتخر بالاديب الذي عاش آلام الناس ورغباتهم وآمالهم في المستقبل المشرق ، ان التاريخ يعطينا أمثولة رائعة لموقف ابن المقفع من السلطة، من المعارك التي خاضها في البصرة

وبغداد والكوفة ، إن العصر العباسي المليء بالتناقضات الاجتماعية واصطراع الفرق لمذهبية فيما بينها وما استطاع الحكم العباسي أن يركز فيه من عوامل التناحر في ظل نظام جديد كفلت له البقاء كل مبررات الحياة وخلق شروطا وامكانيات وضعها في خدمة طبقة معينة من الناس ملكت كل شيء الاخير الانسان وسعادته .

هذا هو عبد الله بن المقفع ، اكتب بما في حياته وبلاغته من خصوبة علمية وتدفق فكري اصيل هو بمثابة الينبوع الادبي والفكري الذي تفجر بعد ذلك في النظامية والمستنصرية وحلقات الشعر والحكمة في البصرة عندما كانت حبيسة الصوامع المغلقة ، وأنا أعرف أن محاولة البحث في المدى الذي يكون فيه المفكر حرا ، كاستيعاب العوامل التاريخية التي تؤثر وتتأثر . تلك هي المسؤولية بكل معنى الكلمة ، ولكن المغالطات التاريخية ظلت الى يومنا هذا راسخة في أذهان الجيل المعاصر عن أصل الزندقة ومفهومها التاريخي ، فغير صحيح اطلاقا ان يكون ابن المقفع « زنديقا » وهو كما أعتقد ناتج عن نزعة تعصبية غريبة عن تراثنا وتقاليدنا وآراء خاطئة تلصق بالمفكرين وقد أتى في كتاب المقالات والفرق لسعد بن عبدالله ابي خلف الاشعري القمي المتوفي سنة ٣٠١هـ ان يزيد بن ابي هبيرة ظفر به وأراد حمله الى المنصور فقتل نفسه وقيل انه شرب سما ، ولكن سفيان بن معاوية والي البصرة دعاه الى داره ولم يخرج منها فقد قتله سفيان ، ويقال ان للخليفة المنصور رأياً في قتله ، وباستشهاده انتهت حياة علم من اعلام الفكر والأدب العربي . لقد شدته أحداث الأمة لعربية وتحولاتها التاريخية وفهم بذكاء جبار التطورات التي شملت المجتمع الاسلامي ، وادرك ملابسات الحياة ومشاكلها المعقدة .

لقد أعطانا مخاض الثورة أكثر من شهيد فمع توالد حركة الحياة عاشت في ضمائرنا قيما دينية وفكرية صنعناها بسواعدنا وانفعالاتنا الحسية كنست من طريقها القديم عفونة الماضي وجفافه ، في نفس الوقت ولدت بين ظهرانينا افكار ، ومعان وقيم فلسفية ذات محتوى علمي لا نظير له ناهيك عن الابداع الجمالي الذي ترعرع في بطون المدارس الادبية على اختلاف اتجاهاتها .

لم يكتب ابن المقفع لذاته ولم يرتفع الى شاهق الا لانه وضع عقله ومبادئه في خدمة البسطاء من الناس وحطم الاغلال التي قيدت العلاقات الاجتماعية . كان له رأي في كل شيء ، في السياسة والزواج وفي ادارة شؤون الدولة وعلاقة الحاكم بالرعية .. كان بحكم وجوده الاجتماعي العقل المحرك للقضية التي استشهد من اجلها خيرة الرجال من الفلاسفة والادباء ان مأثرة ابن المقفع في اطار المسؤولية يتحدى السلطان وجبروته ، ويدين الشعوبية التي طعنت القلب العربي فأحالت الحياة العربية الى بؤس وشقاء .

لقد استشهد ابن المقفع في عصر الازدهار الفكري للدولة العربية ، فاحتضنت مدينة البصرة ذكراه وعاشت الليالي والايام تنتظر مهرجان الكلمة والنور فتعيد الامل الى النفوس النبيلة التي لا تنسى عظمة الرجال .

الكويت ـ عبد الكريم احمد الحمود

الموعد الأول

شعر : فريد انطونيوس

الليل يزحف متعب الصـدر
فوق الروابي الخضر والنهر
ورنت عيون الانجـم الزهر
وأنا على الشبـاك انتظر
حتى يعانق شرفتي القمر
يا فـارسي القـادم
كالحلم ، كالرؤيـا
اشتـاق للقيـا
لثغـرك البـاسـم
للحب فيـه العمر يختصر

★ ★ ★

شعري علـى كتفي أنثره
نهراً حريريـاً أبعثره
وألمـه وأروح أضفره
وأعده للفرحـة الكبرى
وأحس مرآتي به سكرى
وتريني أوهـامي
كفـاً تلاعبـه
ثغراً يداعبـه
يا ويـح أحلامي
كم زرتني وتركتني حيرى

★ ★ ★

وأظل من قلقٍ ومن وجد
محمومة أحيا على الوعد
أألام ان أسلمت للسهـد
عيني أو هللت لـلآتي
وأذبت في نجواه آهـاتي
الليـل موعـده
رقت حواشيـه
يحلو الهوى فيـه
ما زلت أرصـده
وأبثه أحلى حكـاياتي

★ ★ ★

ياليل هذا موعدي الاول
يامشتهى، ياحلمي الاجمل
يكفيني من عينيه إن أقبل
بوح يدغدغ همسه قلبي
فأهيم في دنيـا من الحب
يـا مرتجى عمري
يا موعدي الاول
حتـى إذا أقبـل
أسلمتـه خصري
وجعلت من درب الهوى دربي

الحدس في فلسفة برغسون

بقلم : نزرة اليازجي

اختلف الفلاسفة في ماهية المعرفة ، فأعادها بعضهم الى ملكة تسمى العقل كما اعادها البعض الآخر الى الاحساس ، وقد ربط ارسطو بين هذين المذهبين حين قال « لا شيء في العقل الا وكان في الحس » . فالمعرفة ، حسب ارسطو ، تنشأ في الحس وتنتهي في الدماغ . اما ديكارت وبوذا فقد اعاداها الى الشعور ، واعادها الروحانيون الى الروح .

اما برغسون فقد اعادها الى الحدس والعقل معا ، لكنه فضل الاول على الثاني . وقد علق احد النقاد قائلا « الفلسفة البرغسونية هي فلسفة لا عقلية ، لا حتمية ، تنكر الوجود لحساب الصيرورة وتلقي العقل لحساب الحدس » . فما هو هذا الحدس الذي يفضله برغسون على غيره من الملكات الفكرية ؟

ينطلق برغسون من نقطة واقعية يشارك فيها اراء الفلاسفة الواقعيين . فهو يعتبر ان الحدس ضرب من الاحتكاك بالواقع . وما هو هذا الواقع ؟ هو التجربة التي تكشف لنا المواضيع الخارجية . ان وجود كائن ما ينكشف لنا من خلال التجربة . وعلى هذا الاساس يحاول برغسون اعادة التجربة الى الحدس ، أي ان الاطوار التي تمر بها التجربة تكشف الحدس عند الانسان . فالحدس اذن لا يوجد بشكل تلقائي .

لم يكتف برغسون بهذا التحديد للحدس بل حاول ان يعرفه ايضا بأنه عملية « انتباه شاقة » ومحاولة للنفوذ الى صميم الحياة الباطنة . ويبدو هذا التعريف اكثرعمقا واصالة لمفهوم الحدس لانه يضع الانسان امام الجوهر . ويعتقد برغسون انه لايمكن التوصل الى المعرفة الميتافيزيقية الا بالحدس ، ويعتبر التصور في أصله اداة للعمل والعقل لا للمعرفة . وكل محاولة لفهم الوجود عن طريق التصورات لا بد وان تكون ميكانيكية . والحدس يعدل كل نزعة تصويرية ومظهر خارجي آلي ومكاني ، لكي يمضي الى الاصل نفسه .

وهنا يبدو برغسون في موقف المتناقض . فكيف يمكن ان يكون الحدس ضربا من الاحتكاك بالواقع من جهة ومحاولة للنفوذ الى صميم الحياة الباطنة من جهة أخرى ؟ لا شك ان الموقف يبدو متناقضا لكن برغسون حاول ان ينتقد العلوم الطبيعية . ولذا كان عليه ان ينطلق من نقطة يلتقي فيها مع الفيزيائيين حتى اذا وصل معهم الى مراحل اكثر عمقا استطاع ان يظهر

لهم ان الوسائل المادية والتجارب ليست الا نوعا من الحدس .

لقد تبين لبرغسون ان العالم المادي في صراع دائم مع الطبيعة لذلك يخضع لها لكي يتسنى له ان يسيطر عليها . اما الفيلسوف فقد تبين له انه ينظر الى الوجود نظرة تعاطف وصداقة ، وهو يسعى دائما ان يصادق ويشارك ويتعاطف ، وهذا التعاطف هو الحدس . ان المعرفة الحدسية هي في جوهرها معرفة مباشرة تمزق حجب الالفاظ والرموز لكي تغوص في طيات الواقع وتمضي مباشرة الى باطن الحقيقة . ونحن نستدل من هذا ان برغسون اقام هذه المقارنة بين العالم والفيلسوف لكي يدلل على اهمية الحدس من حيث انه اكثر عمقا من العقل الذي يعتمد على التجربة والرموز .

هكذا يعتبر برغسون ان للحدس طابعا عقليا فيقول ان المعرفة ليست تلقائية وانما هي مباشرة تستلزم الكثير من الجهد والعمليات الذهنية . وكذلك لا يقيم تعارضا جوهريا بين المعرفة الحدسية والمعرفة الاستدلالية لان كلا منهما لا تنفصل عن الاخرى ولا يمكن ان تفهم باستقلال عنها . لكنه لا يعتبر ان الحدس ادنى مرتبة من العقل بل هو اعلى منه وكما يقول هو معرفة «فائقة للعقل» . ويتابع برغسون قائلا « ان المعرفة الصحيحة والدقيقة للواقع هي الشرط الضروري الذي لابد ان يسبق كل حدس ميتافيزيقي يكون من شأنه ان ينفذ الى مبدأ تلك الوقائع » .

يقسم برغسون المعرفة الى قسمين: جزئية ومطلقة. ويعتبر ان الحدس عملية ذهنية اصلية لا ترجع الى المعرفة الجزئية لكنها لا تنفصل عنها . لذلك فهو جهد شاق يستلزم استعدادا عقليا سابقا ، وقد اكد برغسون ان الحدس اقرب الى التفكير منه الى العاطفة ، ولذلك كانت فلسفته فلسفة تجربة وتحليل وتعمق .

وهنا يحاول برغسون ان يفرق بين العلم والفلسفة فيقول ان موضوع العلم هو المادة ومنهجها هو التحليل وموضوع الفلسفة هو الروح ومنهجها هو الحدس . والتحليل عملية تنصب على الساكن وغير المتحرك بينما الحدس ينفذ الى صميم الحركة فهو اداة لادراك الديمومة . والتحليل يتعلق بالجامد والثابت والكمي واذا اراد العلم قياس الحركة أبطلها واذا اراد ان يملك الحياة احالها الى مادة جامدة . وعلى العكس يستطيع الشعور ان يدرك الحركة في ذاتها . فالانسان يستطيع ان يشعر بالحياة أي بالوجود لكنه لا يستطيع أن يقيسه أو أن يحلله باجزائه فالشعور بالوجود حدس.

وهكذا يعترف برغسون ان المعرفة العلمية نسبية ومن ثم فهي جزئية وتعتمد على الرموز والمعرفة الحدسية مطلقة . وهنا يطبع برغسون الحدس بالطابع الروحي.

ويستمر برغسون في البرهان على ان لا تعارض بين العلم والميتافيزيقيا لان من شأنهما ان ينفذا الى اعماق الواقع ، والمهم هو ان نصل الى المطلق . وهو يقول «في المطلق نوجد ونحيا ونتحرك» . ويبرهن برغسون على اننا نستطيع الوصول الى المطلق عن طريق الترقي التدريجي المشترك للعلم والفلسفة معا، فنفهم الوجود. ويعني هذا ان كلا من الفلسفة والعلم انما يلمس المطلق من ناحية : فالعلم يلمسه من جانب المادة والفلسفة تلمسه من جانب الروح ، وبما ان الصلة وثيقة بين

العلم والفلسفة لذلك نصل المطلق بواسطة الحدس . وهنا يطبع برغسون العقل بطابع الحدس وذلك بالانتقال من الجزئي الى الكلي .

لكن برغسون يفضل الحدس على العقل أي المعرفة الاستدلالية القائمة على دراسة المادة . فهو يعتبر ان العقل هو الامتداد الطبيعي لحواسنا ، ولهـذا فان موضوعه الاول هو المادة الجامدة . ولذلك يتكيف العقل مع المادة نتيجة احتكاكه المتواصل معها ، ومهمته هو العمل حتى لينفذ الى ماهية الاشياء وعندئذ لا يدرك الظواهر فقط بل الباطن . اما الميتافيزيقيا فيريدها برغسون ان تسمو بنا الى ما فوق النزعة العملية التي يتصف بها العقل لكي تنفذ الى نطاق الروح . ويكون هذا هو الارتداد الى الذات والتأمل في حياتنا الباطنة . فترى المعرفة الروحية الذات على حقيقتها مجردة عن كل نزعة عملية ولا تحول نظرها نحو المادة . ولذلك دعا برغسون الى الحدس لانه عن طريقه ترتد النفس ذاتها وتنعكس على حياتها الباطنة محاولة ادراك ديمومتها والنفاذ الى صميم كيانها الروحي .

طرأ على حدس برغسون تغير مهم في آخر ايامه . لقد اضفى الفيلسوف الكبير صفة الروح والقلب والوجدان على الحدس . وهكـذا جرده اخيرا من العقل . وقد اعتبر الحدس انه معرفة وجدانية مباشرة كما اعتبره القلب . وفي هذا يقف برغسون وباسكال على صعيد واحد . فالقلب عند باسكال هو اساس المعرفة والحدس عند برغسون هو اساس المعرفة .

لقد اعتقد بعض دارسي برغسون انه تورط في التناقض لا انه اظهر الحدس انه ضرب من الاحتكاك بالواقع ، وانه محاولة للنفاذ الى صميم الحياة الباطنة، وانه التعاطف والمشاركة والمصادقة . وانه القلب وانه المعرفة الوجدانية المباشرة ، وانه يتفاعل مع العقل لكنه يسمو عليه .

يكاد برغسون ان يبدو متناقضا . فهو يقر بان الحدس يتصل بالواقع والتجربة كما يقر انه ينبع من القلب والوجدان . ان حدث برغسون ظل حدسا علميا بادىء الامر يتصل بالتجربة لكنه يتفوق عليها ، فأبقى على الصلة بين العلم والفلسفة وبين المادة والروح. ونحن نعتقد ان برغسون اعتمد على وجهة نظره هذه لكي يدحض آراء الماديين الذين كانوا يفتخرون ان كل شيء ينبثق من المادة .

نبدل موقف برغسون في سني حياته الاخيرة خاصة بعد تأليف كتابه « ينبوعا الاخلاق والدين » . واتخذ الحدس عنده وجهة جديدة ... اصبح الحدس عنده يؤدي الى التصوف العقلي والاتصال المباشر .

الركن الهادىء

حرف صامت :

تعاتبني اختي بحبك وانتظارك أيها الغالي .. تقسو وتتشدد ، تهزأ وتعتذر .. تحبينه ويسعى الى غيرك ، ترقبين عودته ويهجر دربك .. ضيعت بصحبته عمرك وحرقت عواطفك ، لحقت به دون الآخرين .. ولماذا .. ؟

كل من حولك عرفت ما تريد وكان لها البيت والطفل والزوج والامل وانت تهدرين ايامك واحلامك بين يديه، توصدين بابك دون كل طارق ولماذا ..؟.. ماذا اعطاك ؟ ..

استغفر الله اعطاك الكثير .. اعطاك ضياع العمر وكآبة القلب وسأم الوجود .. سرق منك البسمة المشرقة والحلم الجميل ..

لا .. لابربك .. ارجوك دعيني . ادفن رأسي في وسادتي واغرق فيها انفاسي ودمعي .. اريد ان اصيح .. ماذا تريدون مني .. احبه ويسعى الى غيري احب هجره وخيانته .. احب كذبه وقسوته ..

ماذا اعطاني .. ؟ .. اعطاني حبا اضاء دربي واغنى وجودي .. عشر سنوات يهدهدني حبه ويفجرني نعيمه ودفؤه .. عشر سنوات عشتها للحب والعطاء .. سموت فوق النجم والجمال عشر سنوات وزهيرة الياسمين توشوشني ، ونفحة العطر تناديني والهمسة العذبة تلفني ..

صليت بكل محراب وسجدت لكل جمال ، وطرت مع الالحان .. الزواية الصغيرة والضوء الخافت والستارة المتموجة والدمينة المحترمة وقصيدة شعر ما عرفت احرفها شفاه تهمي في اعماقي ..

وبعد هذا يطلبون مني تركدربك، هجر عطرك.. عطرك ملء غرفتي .. ودربك دنياي وعمري .. اهجرك وكيف .. ايهجر الطير عشه ، والعابد مناجاة ربه ، والطفل حضن امه ..

انه حبي انا .. حبي الكبير يضمه قلبي الغني.. حبك انت ايها الغالي ، يامن وهبتني الدلال والحنان وعلمتني كيف يكون الاخذ عطاء وكيف يستحيل الحب فنا علويا ونشوة قدسية .. انت يامن جعلتني احول ساعات الحب عبادة والنشوة صلاة وامزج صميتي بخمري ورعشتي بدمعي وهمستي بفرحتي..

سأرقبك مع النجم والنهر ، مع الشعر والعطر وامعن في حبي وارعاه وانثر لآلىء ازين بها العالم بأجمعه ..

لك الله ايتها الاخت .. كل من حولي لها طفل وبيت وزوج وأمل .. وانا وانا ماذا املك .. دعيني أهمس بأذنك ..

اني املك الحب والذكرى .. املك النظرة الراعشة اضمخ بها الكون بأجمل نشيد واعذب

بسمة . املك دنيا من الذكرى والمتعة .. ستنتهي كل من حولي يوما .. كما انتهت الملايين قبلها .. وابقى مع حبي حرفا صامتا رسمه في محرابه كل عاشق ، وضوءاً خافتا يهتدي بنوره كل عابد .

– **اغنى ما املك** – :

« وحياة يللي كان بيننا واصبح ذكريات عمري ما حبيت ولا تمنيت غيرك انت ياحبيبتي » وحياة همسة مرمية في شرفة منسية تدغدغها الساقية ، شرفة كانت تسعد بلقائنا وترتاح من وحشتها وصمتها فتعانق كأسنا وتهدهد فرحنا وشوقنا ..

وحياة خطوات ضائعة على رمال ساحل بعيد بعيد ، يودع اشواقه المساء الملون ..

وحياة وشوشة حب ناعمة يخبئها الليل بقلب بنفسجة عاشقة رماها الهوى جسما نحيلا ولونا قاتما ..

وحياة نظرة حزينة تغرق فيها فتاة ناحلة في الفرقة البعيدة فتلفها مع الصمت والظلام وتجعل حياتها شرودا وأمالا ..

وحياة الحب والدلال والنشوة والمدام عمري ما «حبيت» انسانا ولم اطر مع سواك على جناح ولم يعرف قلبي الصغير غير عبادتك ايها الحبيب .. انت من احببت ومن انتقيت واردت .. انت من لحقتك بارادتي ، ومن عشت لك بأفكاري ووهبتك وحدتي وحدتي وضياعي ..

انت من اردتك وتحديت بارادتي الاهل والبلدة.. انت من ملأت بحبك دنياي وضخمتها بالعطر ونمقتها بالدلال ووشيتها بالفرح ..

وحياة يللي كان بيننا واصبح ذكريات .. ذكريات تقمرني بالضوء بالعطر وتشركني سريري وغرفتي ، تلملم دموعي وتحنو على جروحي .. فهي ذكرياتي « واغلى من حياتي هي عملي ورفيق دربي ونجوى روحي ورعشة فكري » ..

وحياة ساعات حبنا عمري ما «حبيت» غيرك انت.. كذب ما لحقني من سوء – كذب ماكتبت يدي ، كانت لعبة ولم ادر ان وراءها قصة تدبر وحكاية ترصف أقولها الآن والليل يلفني بظلام يعانق ظلام روحي .. اقولها لقلمي ، لنفسي ، لانسان لم يعرفني ويلتق بي كانت كذبة رغم اعترافي بها كانت كذبة واصبحت واقعا لا استطيع نكرانه ..

فتحت عيني على جريمة تغمرني .. انكرتها بفزع فسخر مني القدر ، وقهقه .. ولم يصدقني احد .. حتى اختي لم تستمع لي وجاءتني معاتبة مؤنبة .. كيف اخون ؟ واخونك انت .. تأملتها طويلا طويلا والدموع تغسل وجهي واطبقت ثغري على حرفي الابتر .. وشردت اختي انا صدقت تلك الورقة .. النداء ندائي والخط خطي وتكلمت دموعي ، ولكن من يصدقها .. لا احد .. أرخيت رأسي وتمتمت شفتاي باعتذار عن ذنب لم اعرفه .. ذنب كان نتيجة طيش ولعبة بريئة من طرفي وخبيثة من قبل غيري انا اذنبت لاعترف وتحمل النتيجة .. لاقول نعم شأن من يتعذب ولا يصدقه انسان .. واعتذرت عن الذنب وكأنه حقيقة .. ووهبتك دمعي السخي وركعت تحت

اقدامك ، بل قبلت الارض تحت اقدامك عبثا •• ما •

ماذا اصنع لم يسع قلبك على سعتـــه خطيئتي ورفضت روحك السمحة العفو عني وطاردتني لعنة غضبك وهجرك وتعذيبك•• فمات مني الفكر وتلاشت الاعصاب والذنب يلاحقني ، وانت مع الذنب تقسو وتقسو •• رفضتني واغلقت بابك دوني •• واين بابك وطردتني شر طردة •• وتركتني للضياع ، للوحدة ••

والآن بعد خروجي من النعيم وفقــداني الحب والحبيب •• اقسم لك ايها القلم اقسم للكلمة التي لن يقرأها انساني ولن تعانق نظراته •• اني ما خنت حبه ولا عبدت غيره •• ولا عرفت سواه ••

كان ولا يزال رجل حياتي وانساني الذي عرفت الدنيا بين يديه ••

انتهت حياتي وبقيت لي الذكرى اقسم بها وهي كل ما املك اني ما «حببت» ولا تمنيت غيرك انت•• احببت مايراه فيك الآخرون عيوبا ••

ربما وجدت انت من تمنحهـــا الحب والدلال والورد والالحان •• أما انا فحياتي رهينـــة حبي ، ارعاه واقدسه •• وحبيسة ذكريات هي اغنى ما املك بالحياة •

هديتي الأولى :

الهدية عيد •• عيد يعيشه الانسان ويطير مع حلم امانيه ••

الورد لك فأنت وردة ••

وردة انا ، وعيدي ورود والحان ، وهمســـة وحنان ••

ماذا ؟ •• ضلت الورود دربها الى بيتي •• لن تضمي يازهرية بيتي الصغيرة ورودي الحبيبة•• لـــن تستقبلي ياغرفتي الصامتة وردتي العطرة •

لا عيد لي ، ولا ورود •• العيد لمن يعانق هدية ، لمن يقال له « عيد سعيد » لمن يضمه بشعاع عينيـه المتموج •• العيد لمن يرقب انسانا ، طيفا ، حلمـا ، نظرة •• حتى الهمسة بالهاتف حرمتهـــا ، فهاتفي اخرس ••

ورودي الحانية •• اين انت ؟ • ليتني اعرف لمن حملك انساني •• كلمتي الدافئة ، وعيني الراعشـة بأذن من تهدئين ••

ورودي اتراك بآنية أنيقة وبهو كبــير ـ ؟ تراك مللت غرفتي الصغيرة ومقاعدي البسيطـــة وآنيتي العاشقة •• ؟ امللت الصعود على سلم بيتي القديم وولوج بابي العتيق •• ؟ ام انك لا تزالين بمكانك تنتظرين اليد الحانيـــة تضمك الى صدرها ، وتهديك لحبها ، فترتاحين مع انسانه عابده تحبك وتنتظرك وترقب العيد من اجلك انسانة حياتها رهينة كلمة ناعمة وورود باسمة ، ونظرة مشعة •• ؟

العيد هدية •• وهديتي لم تصلني • تاهت عن بيتي ضلت درب قلبي ••

ماذا ؟•• ماذا ارى ؟ هدية ! محال •• انا لا هدية لي ولا انسان ، انا لا عيد ولا تحية •• انا انسانـــة منسية من العيـــد ، من الحب ، من الحنـــان ، من السؤال ••

ماذا هدية رائعة •• هدية ولي انا •• تأملتهـــا وجلة •• ورسمت فرحة شوهاء على الوجه الجامد •

وطافت دمعة حارة في العينين الحزينين .. وتمتمت باحرف مبتورة « شكرا » .

هديتي لم امسها .. خفت فتح رزمتها .. تمنيت لو يبتلعها المقعد الانيق ..

هديتي الرائعة .. هدية حياتي .. هديتي الاولى وربما تكون الاخيرة .. فأنا لم اخلق للهدايا والحب والمنح ..

هديتي الحلوة .. لماذا تأخرت ؟ .. حملتها الى بيتي وواعبث بها الدروب والوجود وخبأتها في خزانتي

هدية حلوة .. هدية لم تتلقها انسانة قبلي ، عشت عمري انتظر هدية .. وانتظر من يحمل الي الهدية .. من اخذ منه هدية ، سله من يغرقني بنظراته قبل هديته ، من يشعرني بطفولتي ..

هديتي كم صليت من اجلك ورتلت راكعة كل آيات الحب .. لماذا تأخرت ..

وشردت مع الزمن ، مع الاعياد .. كل ما اتمناه يأتيني متأخرا .. لماذا ؟ .. يأتيني بعد تموت الفرحة في قلبي والبسمة في ثغري .. تتحقق احلامي بعد ان ينطفيء نور املها وتندثر شعلتها .. فأحضنها بصمت والغصة ملء حلقي وروحي ..

لماذا أيها الغالي تأخرت .. لماذا ؟ فضح كوني بسؤالي لماذا .. ؟ وتمنيت لو ابقى بلا هدية ، لو تضيع هديتي لو يأخذها غيري .. وانتظر انا كعادتي هدية لن تأتيني ..

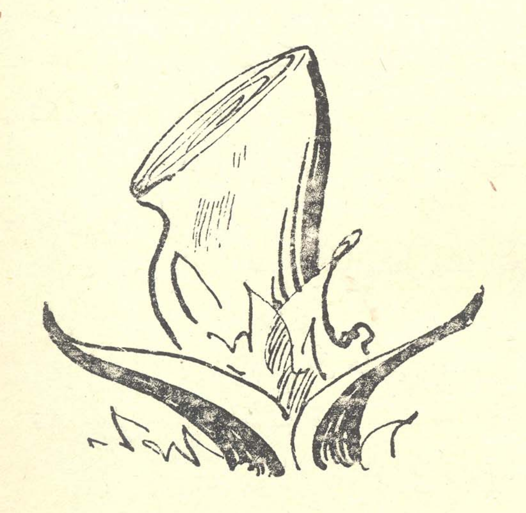
هديتي الحلوة تئن في مخبئها ولا اجرؤ على تحريرها من قيد يخنقها تشكو ما بها لهديه ثانية حبيسة قيدها .. هدية اتتني كتعويض .. لن أنسى تلك القصة .. انا يمنحني انساني كآبة غريبة تعويضا عما سرق مني ..

ماذا لو منحتني ايها الحبيب الهدية مع العيد .. لماذا تأخرت ؟ تعرف اني طفلة صغيرة تفرحها الهدية .. طفلة ما عاشت طفولتها يوما .. طفلة بحاجة لمن تغفو على (ركبته) يداعب شعرها فتنام كملاك وتحلم (بالشريطة) البيضاء والثوب الجديد .. تريد من يهديها قطعة سكر ويبسم في وجهها ويروي لها النكات ..

وانت دون غيرك تعرف طفولتي المشوهة . تعرف حرماني حضن امي وعمري ستة أشهر ومع ذلك تتأخر بالهدية وتجعلني اعيش العيد دموعا وحسرة ..

الهدية عيد يرقبه كل انسان ويطير معه على جناح حلم وردي .

(انسانة)



ليلى

ممدوح مولود

هو الحب ألوان ... فمنه ملوّع
ومنه نديٌ ... منه حلو وممتع
هو الحب دنيا من غصون ينيعة
فمنها غنيٌ بالطيوب .. ومرع
ولكنّ ليلى لم يكن قطّ قلبها
كريما ... ولكن قلب ليلاي بلقع
ولو لم تكن ليلى بدفء عيونها
سماءً جراح القلب باليد توسع
ولم لم تقل ليلى بهمس عيونها
تطلّع .. ففي حبي ستشدو وتبدع
ولو لم تعد ليلى ببوح عيونها
بالف ربيع بالبراعم ينبع
ولو لم تلح ليلى بسحر عيونها
كتلك التي أجثو لديها وأركع
ولو لم تكن ليلى كقلبي رقيقة
ولو لم يكن ما بيننا الطهر يجمع
ولو لم تكن ليلى ملاكا مجنحاً
يحلق بي في كل أفق ويقلع
ولو لم تكن ليلى لروحي شقيقة
تجرعني أطيافها ما تجرع
ولولم تكن ليلاي صبحا يهزني
ويهتف بي أن ها هي الشمس تطلع
ولم لم تكن ليلى لديّ أسيرة
أعز من الدنيا هواها وارفع
ولو لم لم تكن ليلاي للحب دعوة
يطيب بها بين الظلال التمتع

ولو لم تعدني مقلتاها بجنة
منعمة خضراء بالطيب تمرع
ولو لم تقل والحسن ينشر حولها
وشاحا من الاغراء يسبي ويصرع
ألا انني ليلى .. فويحك ما ترى
تروم .. وليلى سحرها ليس يمنع
ولو لم يجاذبني اسمرار خدودها
ولو لم يضيعني الجمال المضيع
ولو لم يغر بي الوعي في ليل شعرها
ولو لم يجرعني الهوى مايجرع
لهان عليّ الامر في وقع حبها
وهان جوى الشكوى .. وهان التفجع
ولكن ليلى لم يكن قط قلبها
كريما .. ولكن قلب ليلاي بلقع

★

ألا باسماء الله هلا منحتني
قليلا من السلوى .. فاني مزعزع
يلوح محياها الصبوح فيغتلي
حنيني .. ويطويني الهيام الملوّع
وترجع لي تلك اللقاءات صورة
تمزقني أطيافها .. وتوزع
وأبحث عن ليلى .. فأدرك أنني
مشوق ...وأني في هواها ملوع
أكاد أرى الفردوس عبو عيونها
يسائلني حتام في الليل تهرع ؟!

وما أبدع الخلان مثل عيونها
صفاء ••• لعمري مثلها ليس يبدع

أحب غيوم الحزن بين عيونها
كأني بنا الاحزان تدني وتجمع

أحب اعتداد الحسن فيها •• وليتها
ألمت بسن هذا التحدي يروع

قبلت التحدي طائعا رغم عزتي
فمن شيمة الفرسان هذا التورع

أتعلم ليلاي أنني قط لم أدع
جبيني لأهوال المظالم يهطع ؟!

أنفت التحدي في ظروف كثيرة
وما زال شعري كل من جار يقطع

ولكن ليلى لم تدع لي وسيلة
لأثبت أني من لظى القيد أمنع

وما كان يحرى بي تحدي عيونها
فللحسن أيضا أمره حيث يزمع

وماكنت أرضى للجمال تحديا
فقلبي له مهما ترفع ••• طيع

أبحت لها قلبا كريما •• وجبهة
تجل عن الدنيا سموا •• وترفع

وقدمت روحي في يديها •• فلم تكن
كعهدي بها •• والعهد للحر يودع

وقدست في صمت جلال اعتدادها
وما كان طهري عند ليلاي يشفع

ولو سئلت ليلاي عني •• لرددت
لقد كان شهما بين من بي أولعو

فمن شيمة الاحرار ألا يموهوا
اذا سئلوا •• والحق الا يضيعوا

*

وما حب ليلى •• قصة او حكاية
تمر بنا عجلى •• وتمضي •• وتسرع

ولكنه جرح الاباء •• وغصة
تشظى ••• واوجاع حرار •• وادمع

أتطعنني ليلاي في قلب عزتي
وقد كان قلبي حب ليلاي يرضع ؟!

لعمرك يا قلبي أترضى بطعنة
تسددها ليلى اليك فتصرع ؟!

أتهدر فيك النبل ليلى بخدعة
وعهدي بك الحر الذي ليس يخدع ؟!

يشق عليك الامر يا قلب كلما
تذكرت •• والاغلال للحر توجع

سترجع ليلى ذات يوم لتبتغي
لها العذر ••• والمجواد يعفو ويشفع

سترجع كيما تطلب الصفح من يد
عن البر في تاريخها ليس ترجع

سترجع ليلى ذات يوم •• فلم تزل
على عهدها في قلبها النبل ينبع

سترجع لي ليلى •• فليلى شقيقة
لروحي •• وليلى قلبها لا تضيع

لقد قرأت في مقلتي ألف دعوة
بأني عن حبي لها لست أقلع

سترجع يوما ما ••• لتشهد أنني
أحب •• ولكني من الحب أرفع

*

من ديوان : اجمل من عمري

ممدو حمولود

اجمل ماقرأت

المعلم الشاعر :

التعليم .. تربية الاجيال .. مسؤولية البلاد .. المفاهيم القومية .. التهذيب الروحي .. المستوى الفكري . كل هذا ملكك ايها المعلم . وبيدك الوطن والمستقبل . وحضارة البلاد وحل مشكلاتها ..

لعمري انه عمل شريف ومكانة تحسد عليها ..

ولكن .. مهلا .. دعني اضحك قليلا « ومن حقي ان اضحك لاني من قافلة المعلمين » .

وتعال لاهمس باذنك واصف لك ما اعاني عندما اسمع كلمة معلم .. اني اشعر بتفاهتي وتفاهة الحياة والوجود والمثل والغد ... التعليم رسالة سامية .. محترمة ..

كلمات حلوة وصحيحة لمن كان بعيدا عن المهنة يمسك بيده منظارا ويرى المعلم محاطا بهالة قدسية ، يقابل بالاحترام والوقوف ، يتكلم فيصمت الجميع .. يأمر فيطاع .. اما كيف يعيش ذلك المعلم المسمى اعتباطا انسانا .. كيف يمر عمره سريعا .. كيف يكبر بالعام الواحد جسديا عدة اعوام ، ويبقى عقله هو هو مرتبطا بعمر من يعلم من الاولاد ، وكيف يفتتت رنين الاجراس اعصابه ، فيغدو جزءا من هذه الآلة .. وتتعلق حياته بصوتها القبيح .. يتحرك ويأكل ويشرب ويرتاح ويتكلم ، يصعد الدرج ، يهبط ، ويغادر المدرسة ويدخلها .. كل هذا بأمر ذلك الجرس .. بأمر قرقعته الجوفاء ..

وكيف يعرض بل يبيع افكاره وعواطفه وشخصيته كل يوم مرة ومرات امام اناس لهم نفس العمر ونفس الحركة والنظرة المتسائلة .. عيون بريئة تحدق به ، ترقبه .. تتأمل ثيابه ووجهه وتنتظر كلماته .. اجل كلماته ونبرة هذه الكلمات . والويل له ان عطس او سعل ، او جاع .. الويل له ان تساهل أو غضب او تأخر او شرد ، او حتى صمت ..

وبعد ما هو مركز المعلم .. وما هي قيمته ؟ لماذا يعمل ؟ يعمل ليكال له الشتم والسباب يوميا او في كل بيت تقريبا من الاطفال واهلهم .. فكسل الولد يعود اليه ، وبلادة الآخر هو سببها .. هو المسؤول عن العلاقة السيئة والرسوب وهو مسرح لتندر اولئك الاطفال هذا يقلده وذاك يدبر له مقلبا ..

تمضي الاجيال ويصبح طفل اليوم حاكما محترما او قائدا عظيما او تاجرا غنيا ، او سفيرا مرموقا والمعلم باق في بيته الصغير والحقير غالبا ، يؤمن بصعوبة طعامه وحاجاته الضرورية .. يستجدي الدواء ان مرض .. ويستجدى له ثمن الكفن ان مات ..

تتغير الاسماء (اسماء الطلاب) ويبقى هو البائع الابدي لتلك الاسماء ..

كل هذا سهل امام سهره الطويل مع الاوراق والاغلاط والخطوط السيئة ، والكلمات المبتورة .. أية اغنية بالعالم يكفر الانسان ان سمعها عشرات المرات في اليوم ويتمنى لو يحطم تلك الآلة التي ترسلها .. والمعلم عليه ان يبقى مؤمنا وهو يقرأ مئات الاوراق

بل مئات الخطوط لفكرة واحدة ، وعليه عوضا عن تمزيق الاوراق ، العناية بها ورعايتها .

مهنة شريفة ؟؟ ورسالة سامية .. ؟؟ « فلان معلم صبيان » .. لذا كتب عنه كتابنا الشيء الكثير وافضل من احترمهم الجاحظ .. كما ان شاعرنا المعلم الشاب الشاعر ابراهيم طوقان صورهم اجمل تصوير ..

(شوقي) يقول وما درى بمصيبتي
قم للمعلم وفه التبجيلا
اقعد فديتك ، هل يكون مبجلا
من كان للنشء الصغار خليلا
ويكاد (يفلقني) الامير بقوله :
كاد المعلم ان يكون رسولا
لو جرب التعليم (شوقي) ساعة
لقضى الحياة شقاوة وخمولا
حسب المعلم غمة وكآبة
مرآى الدفاتر بكرة واصلا
مئة على مئة اذا هي صلحت
وجد العمى نحو العيون سبيلا
ولو ان في « التصليح » نفعا يرتجى
وأبيك ، لم أك بالعيون بخيلا
لكن أصلح غلطة نحوية
مثلا وأتخذ « الكتاب » دليلا
مستشهدا بالغر من آياته
او « بالحديث » مفصلا تفصيلا
وأغوص في الشعر القديم فانتقي
ما ليس ملتبسا ولا مبذولا
وأكاد ابعث (سيبويه) من البلى
وذويه من اهل القرون الاولى
فأرى (حمارا) بعد ذلك كله
رفع المضاف اليه والمفعولا
لاتعجبوا ان صحت يوما صيحة
ووقعت ما بين (البنوك) قتيلا
يا من يريد الانتحار وجدته
ان المعلم لا يعيش طويلا
ان المعلم لا يعيش طويلا ..

مات ابراهيم طوقان الشاعر المبدع شابا ..
مات في السادسة والثلاثين من عمره ..
لقد عرف مصيره وحدده ..

الشعر :

فهمت الشعر على صغري انشودة حلوة وهمسة دافئة وكلمة منغومة .. نسمعه فننتشي ويغرد قلبنا مع النغم المسحور وتطير أرواحنا على جنح غيمة بيضاء منثورة بسماء غير مرئية ... سماء تخلقها فينا ، النظرة الحانية ، والرعشة المحمومة والعبارة الخاشعة ضمنتها القصيدة وصاغ منها الشاعر لحنا ملونا بالعبير واحرفا موشاة باللؤلؤ ...

لذا كنت اعانق الشعر والثمه بنظراتي واضمه الى قلبي واسهر معه الليالي الطوال احدثه ارنو الى منشده .. ابكي مع فواصله ..

وكبرت الطفلة التي كنتها والشعر باعماق روحها الطفلة تفسره بحبها وتعيشه بوحدتها وتترنم به لشجرتها وجدولها ... وتخبئه بحنايا ورودها وسريرها ...

لتسرع الى المدرسة وتطع اساتذة اللغة وتعبد احرفهم الرائعة ... فستجد لديهم تصويرا لما عجزت عن فهمه .. تعجلت السنوات والايام .. تريدان تعرف الكلمة الملونة المستريحة في القصيدة .. سر النغم الخالد يحنو على تلك الكلمة وينطلق واياها في دنيا

الفن والجمال ... ويجعلنا نحن السعداء نقرأه او نسمعه فنغرد معه وننتشي ..

كنت اركض بخيالي وراء الشاعر ، نبي الكلمة واله النغم .. اريد ان اعرف سر النشوة ومعنى الفرح ...

وصور لي وهمي اساتذة اللغة رسل الشعراء ..

لن اقول ماذا وجدت عند اساتذة اللغة والعروض .. لن اقول عن المدية المسمومة او المدى المسمومة التي طعنت مني الروح والقلب بتفسيرهم الاثم للشعر وتقطيع اوصاله وبتر اعضائه وتركه أشلاء مبعثرة ، لا حياة فيها ... عن اندثار القصيدة بين ايديهم وانينها المفجوع ..

ان شاعر الكلمة الانيقة والحرف الامير نزارقباني يصف ماعنيت ..

حكاية الشعر كحكاية الوردة التي ترتجف على الرابية ، مخدة من العبير .. وقميصا من الدم .

انك تحبها هذه الكتلة الملتهبة من الحرير التي تغمر اصبعك .. وانفك .. وخيالك .. وقلبك . دون ان يدور في خلدك أن تمزقها ، وتقطع قميصها الاحمر ، لتقف على سر هذا الجهاز الجميل الذي يحدث لك هذه الهزة العجيبة ، وهذه الحالة السمحة ، القريرة ، التي تغرق فيها ... وحين تفكر في هذا الاثم يوما ، فتشق هذه اللفائف المعطورة ، وتذبح هذه الاوراق الصبية ، لتمد انفك في هذا الوعاء الانيق .. والذي يفرز لك العطر ، ويعصر لك قلبه لونا .. حين تدور في رأسك هذه الفكرة المجرمة الا يبقى على راحتك غير جثة الجمال .. وجنازة العطر .

وفي الفن ، كما في الطبيعة ، وفي القصيدة كما في الوردة وكما في اللوحة البارعة .. يجب ان لا نعمد الى تقطيع القصيدة ، هذا الشريط الباهر الندي من المعاني والاصباغ ، والصور ، والدندنة المنغومة .

حرام ان نمزق القصيدة لنحصي (كمية) المعاني التي تنضم عليها ، ونحصر عدد تفاعيلها ، وخفي زحافاتها ونقف على لون بحرها .. فالاحصاء ، والحساب ، والتحليل ، والفكر المنطقي يجب ان تتوارى كلها ساعة التلقين المبدع . لان كل هذه الملكات العقلانية الحاسبة فاشلة في ميدان الروح .

فالقمر ... هذا الينبوع المفضض الذي يذرعلى جدائل الياسمين .. يحدث لك ولي ولكل انسان حالة حبية ملائمة ، انك تفتح قلبك له ، وتغمس اهدابك في سائله الزنبقي دون ان تعرف عن هذا (الجميل) اكثر من انه قمر ...

ولو اتفق او اوضح لك فلكي سر القمر ، واجواءه او جباله الجرداء ، وقممه المرعبة ، وادار لك الحديث عن معادنه ، ودرجة حرارته ورطوبته ، اذن لاشفقت على قلبك واسدلت ستارتك ...

اذن فلنقرأ القصيدة كما ننظر الى القمر ، بطفولة ، وعفوية ، واستغراق .

مهمة القصيدة كمهمة الفراشة .. هذه تضع على فم الزهرة دفعة واحدة جميع ما جنته من عطر ورحيق ، منتقلة بين الجبل والحقل والسياج .. وتلك – أي القصيدة – تفرغ في قلب القاريء شحنة من الطاقة الروحية تحتوي على جميع أجزاء النفس ، وتنظم الحياة كلها .

يجب أن لا نطلب من الشعر أكثر من هذا . ويتجنى على الشعر الذين يريدون منه أن يغل غلسة ، وننتج ريعا ، فهو زينة وتحفة باذخة فحسب .. كآنية الورد التي تستريح على منضدتي . لست أرجو منها أكثر من صحبة الاناقة وصداقة العطر ..

لذلك نشأت على كره عنيد للشعر الذي يراد من نظمه اقامة ملجأ .. او بناء تكية .. أوحصر قواعد اللغة العربية ، او تاريخ ميلاد صبي أو تعداد مآثر الميت على رخامة قبره .

قرأت في طفولتي تعاريف كثيرة للشعر ، وأهزل

هذه التعاريف « الشعر هو الكلام الموزون المقفى » .
أليس من المخجل أن يلقن المعلمون العرب تلاميذهم في هذا العصر ، عصر فلق الذرة ، ومراودة القمر ، مثل هذه الاكذوبة البلهاء .

ماذا نقول للشاعر ، هذا الرجل الذي يحمل بين رئتيه قلب الله ، ويضطرب على أصابعه الجحيم ،وكيف نعتذر لهذا الانسان الآله الذي تداعب أشواقه النجوم، وتفزع تنهداته الليل ، ويتكي على مخدته الصباح ، كيف نعتذر له بعد ان نقول له عن قصيدته التي حبكها من وهج شرايينه ونسجها من ريش أهدابه « انها كلام » !.

وكلمة (كلام) هذه .. تقف على قلبي يابسة كالشوكة لأن ما يدور بين الباعة على رصيف الشارع هو كلام .. والضجة التي ترتفع في سوق البورصة هي مجموعة من الكلام الموزون .. ايضا .

فهل الشعر عند سادتنا العروضيين هو هذا النوع من الكلام دون أن يكون ثمة فرق بين كلام (ممتاز) وكلام (رخيص) ؟

ويقال في تعريف ثان للشعراء انه تصوير للطبيعة ... وأنا أقول ان الفن هو صنع الطبيعة مرة ثانية ، على صورة أكمل ، ونسق أروع .

الطبيعة وحدها ، فقيرة ، عاجزة ، مقيدة بأبدية القوانين المفروضة عليها ، هذه الزهرة تنبت في كهذا .. وهذا النبع يتفجر اذا انعقدت السحب مطرا ، وهذا النوع من العصافير يرحل عن البيادر في اوائل الشتاء ..

أما في الفن فانك تشم رائحة الاعشاب لمجرد تصفحك ديوان ابن زيدون . وانك لتستطيع ان تستمتع الى وشوشة الينابيع وأنت أمام الموقدة تقرأ ما كتب البحتري وابن المعتز .

أستطيع في أي موسم أن أغلق نافذتي وأمد يدي الى مكتبتي لأنعم بالورد وبالماء وبالعطر وبزقزقة العصافير المغنية وهي تتفجر من دواوين المتنبي ، وبودلير ، وبول فيرلين ، وأبي نواس ، وبشار ،فتحيل مخدعي الى مزرعة يصلي على ترابها الضوء والعبير .

الوردة الحمراء على الرابية تموت . ولكن الوردة المزروعة في قصيدة فلان لا تزال توزع عطرها على الناس وتقطر دمعها على أصابعهم .

اذن فما هو الشعر ؟

كل ما قيل في هذا الموضوع لا يتعدى دراسة نتائج الغضب والانفعال والسرور على جسد الانسان، وكما يدرس علماء الفيزياء آثار التيار الكهربائي من ضوء وحرارة وحركة .

وجميع ما قرأته من نظريات المعنى ،والفكرة ، والصورة واللفظ والخيال ونسبة كل منها في البيت انما تدرس آثار التجربة الشعرية في العالم الخارجي ، أي بعد انتقالها من جبين الشاعر الى الورق .

لا أجرؤ على تحديد جرهر الشعر .. لأنه يهزأ بالحدود . ثم ماذا يضير الشعر اذا لم نجد له تعريفا ؟ ألسنا نتقبل أكثر الاشياء التي تحيط بنا دون مناقشة . فالروائح ، والالوان ، والاصوات التي يسبح كياننا فيها ، تبعث اللذة فينادون أن نعرف شيئا عن مادتها وتركيبها . وهل تخسر الوردة شيئا من فتنتها اذا جهلنا تاريخ حياتها ؟

لنتواضع اذن على القول : ان الشعر كهربة جميلة ، لا تعمر طويلا ، تكون النفس خلالها بجميع عناصرها من عاطفة وخيال ، وذاكرة ، وغريزة مسربلة بالموسيقا .

ومتى اكتست الهنيهة الشعرية ريش النغم ، كان الشعر فهو بتعبير موجز (النفس الملحنة) . لا تعرف هذه الهنيهة الشاعرة موسما ولا موعدا مضروبا ، فكأنها فوق المواسم والمواعيد . وأنا لا أعرف مهنه

يجهل صاحبها ماهيتها اكثر من هذه المهنة التي تغزل النار ... والذي أقرره أن الشعر يضع نفسه بنفسه ، وينسج ثوبه بيديه وراء ستائر النفس ، حتى اذاأتمت له اسباب الوجود ، واكتسى ردا ءالنغم ، ارتجف احرفا تلهث على الورق ..

ولقد أقتنعت ان جهدي لا يقدم ولا يؤخر في ميعاد ولادة القصيدة ، فأنا على العكس أعيق الولادة اذا حاولت أن أفعل شيئا .

كم مرة .. ومرة .. اتخذت لنفسي وضع من يريد ان ينظم ، وألقيت بنفسي في أحضان مقعد وثير ، وأمسكت بالقلم ، وأحرقت اكثر من دخينه .. فلم فلم يفتح الله علي بحرف واحد .

حتى اذا كنت أعبر الطريق بين ألوف العابرين او كنت في حلقة صاحبة من الاصدقاء ، دغدغني ألف خاطر أشقر .. وحملتني ألف أرجوحة معطرة الى حيث تغني المسافات ..

والشعر يحيط بالوجود كله وينطلق في كل الاتجاهات ، فترسم ريشته المليح والقبيح :وتتناول المترف والمبذل والرفيع والوضيع . ويخطيء الذين يظنون انه خط صاعد دائما .

لان الدعوة الى الفضيلة ليست مهمة الفن بل مهمة الاديان وعلم الاخلاق . وأنا أؤمن بجمال القبح ، ولذة الالم ، وطهارة الاثم فهي كلها أشيا ءصحيحة في نظر الفنان .

تصوير مخدع مومس وارد في منطق الفن ومعقول ، وهو من اسخى مواضيع الفن وأغزرها ألوانا . أما المومس من حيث كونها اناء من الاثم ، وخطأ من أخطاء المجتمع ، فهذا موضوع آخر تعالجه المذاهب الاجتماعية وعلم الاخلاق .

يقول كروتشه في نقد المذهب الاخلاقي في الفن :

« ان العمل الفني لا يمكن ان يكون فعلا نفعيا يتجه الى بلوغ لذة أو استبعاد ألم ، لان الفن من حيث هو فن لا شأن له بالمنفعة . وقد لوحظ من قديم الازمان ان الفن ليس ناشئا عن الارادة . ولئن كانت الارادة قوام الانسان الخير فليست قوام الانسان الفنان .

فقد تعتبر الصورة عن فعل يحمد او يذم من الناحية الخلقية ، ولكن الصورة من حيث هي صورة لايمكن أن تحمد او أن تذم من الناحية الاخلاقية ، لانه ليس ثمة حكم اخلاقي يمكن ان يصدر عن عاقل ويكون موضوعه صورة .

« ان الفنان فنان لا أكثر ، أي انسان يحب ويعبر . ليس الفنان من حيث هو فنان عالما ، ولا فيلسوفا ولا أخلاقيا . وقد تنصب عليه صفة التخلق من حيث هو انسان ، أما من حيث هو فنان خلاق فلا نستطيع أن نطلب اليه شيئا واحدا هو التكافؤ التام بين ما ينتج وما يشعر به .. » .

لو صح لنا أن نقبل ما زعمته المدرسة الاخلاقية في الفن لمات الفن متخفيا بأبخرة المعابد ، ولوجب أن نحطم كل التماثيل العارية التي نحتها ميشيل انجلو ، والصور البارعة التي رسمها رفائيل .. لانها اثم يجب ان لا تقع فيه العين .

ولو ذهبنا مع أشياع هذه المدرسة الى حيث يريدون لوجب ان نخرج من خظيرة الشعر الجيد قصيدة النابغة التي قالها في زوجة النعمان وقد انزلق مئزرها عن نهدين « شابين » مرتعشين :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه
فتناولته واتقتنا باليد ..

ولكان علينا أن نلعن النابغة ونعتبره ضالا لا يستحق أن نقرأ سيرته واشعاره .

•• وبعد •• وبعد •• ففي يد القارىء حروف دافئة تتحرك على بياض الورق ، وتتسلق أصابعه لتعانق قلبه •

هذه الاحرف لم أكتبها لفئة خاصة من الناس روضوا خيالهم على تذوق الشعر وهيأتهم ثقافاتهم لهذا •

لا •• انني أكتب لأي (انسان) مثلي يشترك معي في الانسانية وتوجد بين خلايا عقله ، خلية ، تهتز للعاطفة الصافية ، وللواحات المزروعة وراء مدى الظن ••

أريد أن يكون الفن ملكا لكل الناس كالهواء ، وكالماء وكغناء العصافير يجب ان لا يحرم منها أحد •

اذن ، يجب ان نعمم الفن ، وان نجعله بعيد الشمول ومتى كان لنا ذلك استطعنا أن نجلب الجماهير المتهالكة على الشوق ، والطين ، والمادة الفارغة الى عالم أسواره النجوم ، وأرضه مفروشة بالبريق •

متى جذبنا الجماهير الى قمتنا ، نبذوا أنانيتهم ، وتخلو عن شهوة الدم ، وخلعوا أثواب رذائلهم ، وهكذا يغمر السلام الارض ، وينبعث الريحان مكان الشوك •

انني أحلم (بالمدينة الشاعرة) لتكون الى جانب مدينة الفارابي (الفاضلة) • وحينئذ فقط يكتشف الانسان نفسه ويعرف الله ••

وفي سبيل هذه الفلسفة ، فلسفة الغناء العفوي ، حاولت فيما كتبت ان ارد قلبي الى طفولته ، وأتخير ألفاظا مبسطة ، مهموسة الرنين ، وأختار من اوازن الشعر ألطفها على الاذن •

وان القارىء ليحس ان الكلام الذي أهمس له به يعرفه كأنه هو الذي يغني •

فاذا أحس القارىء أن قلبي صار مكان قلبه وانتفض بين أضلعه هو ، وانه يعرفه قبل ان يعرفني ، وانني صرت فما له وحنجرة ، فلقد أدركت غايتي ، وحققت حلمي الابيض ، هو ان أجمل الشعر يقوم في كل منزل الى جانب الخبز والماء •••

صلوات في هيكل الحب :

والآن ما رأيك ياقارئي الغالي لو نرحل معا عبر الزمن الى هيكل حب بعيد فنرتل صلوات عابدة خاشعة مع شاعرنا المبدع ابي قاسم الشابي •

عذبة انت كالطفولة كالاحـ
لام كاللحن ، كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك ، كالليلة القمـ
راء ، كالورد ، كابتسام الوليد
أي شيء تراك ؟ هل انت « فينيـ
س » تهادت بين الورى من جديد؟
أنت •• أنت ••؟ أنت رسم جميل
عبقري من فن هذا الوجود
فيك ما فيه من غموض وعمق
وجمال مقدس معبود
انت انشودة الاناشيد ، غنا
فتمايلت في الوجود ، كلحن
فتمايلت في الوجود ، كلحن
عبقري الخيال حلو النشيد
خطوات ، سكرانة بالاناشيـ
د وصوت كرجع ناي بعيد
كل شيء موضح فيك حتى
لفتة الجيد ، واهتزاز النهود
أنت ـ أنت الحياة في قدسها السا
مي ، وفي سحرها الشجي الفريد

البقية على الصفحة (٧٠)

التأثيرية .. بين التجربة و النقد

بقلم : غازي الخالدي

حين ندرس اتجاها فنيا معينا سبق ان ترك أثرا ما في تاريخ الفن ، لا ندرسه من حيث هو اتجاه مرتبط باشخاص أو بتجارب فردية ولا من حيث علاقته بفترة زمنية عاصرته .

انما ندرسه من حيث اسبابه ونشوؤه وتطوره ونتائجه محددا بزمان ومكان معينين مع دراسة عامة للفنانين الذين تمثلوا هذا الاتجاه وعبروا عنه كل بطريقته واسلوبه في حدود الزمان والمكان المرتبط بتجربتهم وفي اطار حضاري عام .

والمدرسة التأثيرية التي نحن بصدد بحثها اليوم هي من الاهمية بمكان يجعلنا نركز عليها كل الدراسة لانها بالفعل الحلقة الهامة التي تصل الفن بمرحلته الاكاديمية منذ دافيد الى مرحلته الجديدة التي بدأت عند سيزان حيث بدأ الفن يأخذ شكلا جديدا بنائيا وفلسفيا يعايش تجربة الانسان المعاصر في القرن العشرين .. ويعبر عن قلقه وفلسفته وضياعه وايديولوجيته الحديثة .

ولا أحب ان اسمي المرحلة الثانية وأقصد الفن الحديث ، بهذا الاسم لان مفهوم الفن الحديث عند أكثرية الناس هو الفن الذي اتجه الى التجريدية أو السيريالية .. ولكن الواقع ان الاصطلاح المستعمل للفن الحديث اصطلاح خاطىء من أساسه لان كل فن يعتبر حديثا بالنسبة لعصره ، ففن دافيد هو حديث بالنسبة الى فن الركوكو حيث كان رسامو هذه المرحلة من فناني البلاط الفرنسي يميلون الى التزويق والتنميق والبريق الزائف والزخرفة التي تعتمد على القوس القصير المقوقع .. وكان هذا الفن بعيدا كل البعد عن واقع الحياة وتجاربها ويقتصر على تصوير القصور والملوك والحاشية الملكية !

ولكي نكون من الناحية العلمية أكثر دقة نستطيع أن نقول ان المدرسة التأثيرية هي الابن الشرعي للمدرسة الواقعية حيث كانت امتدادا طبيعيا لها ، ونرى ذلك واضحا من خلال مقارنة اعمال غوستاف كوربيه بمانيه ومونيه وسسلي وبيسارو .

ومن الطبيعي ان يكون كوربيه وهو ابو الواقعية في الفن في القرن التاسع عشر استاذا للفنانين التأثيريين وممهدا لحركتهم باعتباره أول من شق عصا الطاعة على الاكاديميين الذين كانوا قبله في معرضه الذي أقامه لوحده عام ٨١٥٥ ، ورسم موضوعاته خارج المرسم لاول مرة حيث ضاق ذرعا بالاسلوب الاكاديمي الكلاسي ، وخرج الى الطبيعة يملأ رئتيه بهواء جديد ولون جديد وشكل جديد .. وموضوع جريء وهو لوحة « جنازة في قرية اورنان » ! حيث رسم ما كان يرى فعلا لا كما يجب أن يكون دون تزويق ولا افتعال ولا مبالغات سخيفة تتطلبها طبقة النبلاء والبورجوازيين .

وتخلص أخيرا من النزعة الرومانتيكية التي سيطرت على بعض اعماله في البداية والتي ورثها ممن

سبقوه وعاصروه من الرومانتيكيين أمثال كميل كورده وكونستابل • وطبيعي ان الفنان سيتطور حتما مع تطور الحياة والمفاهيم وظهور الاكتشافات العلمية المستحدثة ، لانه انسان يعيش هذه الاحداث ويعبر عن حضارته باسلوب يختلف عن الفنان الذي عاش قبله بعشرات السنين •

وهذا ما كان له الاثر الكبير في ظهور المدرسة التأثيرية في فرانسا حيث بدأ الفكر يأخذ اتجاها جديدا على ضوء العلم الحديث والمعرفة بالنظريات الجديدة •

وباعتقادي ان السبب الاول الذي مهد لظهور المدرسة التأثيرية هو تغير العقلية التي كانت تسيطر على الانسان ايام دافيد وانجر ، حيث كان مفهوم الفن هو أن ترسم ما ترى بشكل حرفي دقيق ، وكلما كنت أمينا في النقل والتصوير كلما كنت أكثر عبقرية وبطولة !

وعلى هذا الاساس يكون عمل الفنان مثل المؤرخ تماما ، مجرد ناقل لكل شيء مسجل لكل شيء •• أمينا في النقل •• أمينا في العرض والتسجيل دون أن يسمح له بأن يبدي رأيا فرديا أو وجهة نظر معينة •

والمدرسة التأثيرية هي اول بادرة لتحرر انسان القرن التاسع عشر من عبودية المفهوم الاكاديمي المدرسي في الفن •• والبدء في اظهار شخصية فردية في الفن والطبيعة والاشكال المحيطة به •

وكانت أول مظاهر هذا التحرر الثورة على الخط والاستعاضة باللون كقيمة تلخص الشكل وتعوض ما كان يؤديه الخط والمساحة واللون معا •

ولنقارن بين قيمة الخط عند دافيد حين يقول :

« ان قيمة الصورة ليست بالالوان والضوء •• ولكن في سمو الخطوط التي تحدد الاشكال » •

فالخط بنظر الاكاديميين يخلق الصورة ، واللون يملأ الفراغ •

فمثلا ديلاكروا يقول : « ان اللون خط » بينما سيزان يقول : « ان اللون شكل » اما مانيه فقد طمس الخط شيئا فشيئا وجاء بعده التأثيريون فألغوا الخط نهائيا •• وبدأوا ينظرون الى الطبيعة نظرة شاملة عامة من خلال الوانها وظلالها والضوء المسلط عليها •

ولعل الوحيد بين الفنانين التأثيريين الذي تعلق بالخط الى ابعد الحدود وخرج من نطاق التأثيرية اللونية الى نطاق الحركة الخطية في رسوم توضيحية بزوايا ولقطات تشبه لقطات التصوير الفوتوغرافي هو الفنان ديجا حيث كان يردد كلمات اساتذته :

« الخطوط يا بني •• ارسم العديد من الخطوط •• من الذاكرة أو من الطبيعة تصبح فنانا عظيما » •

بينما اعتمد الفنانون التأثيريون على استخدام اللون كعنصر اول وأساسي في التعبير عن الاشكال وكان ذلك في استخدام الالوان الصافية غير المركبة ، غير الممزوجة في شكل لمسات صغيرة على نحو الاضواء الصافية الالوان التي يتألف منها نور الشمس •

وبهذه الجزئيات من الالوان الصافية الى جانب بعضها البعض يكون الفنان التأثيري الشكل أي « الفورم » بما في ذلك المسافة والعمق والظل والنور •

من أين جاءت كلمة تأثيرية ؟

وما معنى هذا اللفظ ؟

جماعة من الفنانين جمعتهم ظروف التطور الاجتماعي والسياسي والادبي والحضاري في اوربا •• جمعتهم هذه الظروف فاشتركوا في هدف واحد وهو الثورة على القيم الاكاديمية التي يجب أن تتغير بتغير كل شيء حولهم •• من علم ، وأدب وسياسة •• وحضارة !

كانوا يترددون على مقهى في باريز (جيزبوا) ويتحدثون في الفن باستمرار نقاش •• وجدال •• وحديث لاينتهي مع الفجر ••

ولعل اضطهادهم من النقاد والفنانين الاكاديميين والجمهور وطردهم من صالون باريس عام ١٨٦٣ هو

السبب الرئيسي الذي ساعد على تجمعهم ولقائهم تحت لواء ثورة لونية شكلية جديدة في الفن حمل لواءها ادوارد مانيه •• وسميت فيما بعد بالثورة التأثيرية ، وذلك نسبة الى لوحة لكلود مونيه اسمها « تأثر •• شرق الشمس » عرضها في معرض التأثريين الأول الذي أقاموه عام ١٨٧ حيث كتب محرر جريدة تشاريفاري الفرنسية مقالا هاجم فيه المعرض وكان عنوان المقال : (معرض التأثيريين) قاصدا السخرية من اللوحة ومن الفكرة ! وكان ان سميت المدرسة بالتأثيرية وعرفت بهذا الاسم !

وقد لوحظ من أعمال التأثيريين ان أهم شيء لديهم نقل الاحساسات البصرية المباشرة من الطبيعة دون تدخل الفكر الواعي ودون العمل على تنظيم هذه الاحساسات ••

وكان من نتيجة ذلك ان اهملوا الموضوع •• وصارت لوحاتهم تفتقد الى البعد •• الثابت الهندي أي العمق الذي كنا نراه في المدرسة الفلمنكية ••• واستعاضوا عن البعد الهندسي ببعد هوائي لوني •• يتدرج باللون الفاتح حتى يوهم بالعمق مجرد ايهام فالشيء البعيد يعطي لونا سماويا فاتحا أو بنفسجيا فاتحا •• ثم يتدرج حتى يصل الى المستوى الاول في الاول حيث يكون اللون في أقصى درجة من السخونة والعنف • وهذا ما جاء في احدى نظريات شفريل حيث تحدث عن اثر الضبابية اللونية في التعويض والايهام بالبعد الثالث وذلك نتيجة تكاثف طبقات الهواء امام الاشكال كلما ابتعدت عن مسقط الرؤية •

ثم من ميزات هذه المدرسة ان اهتمت بالانعكاسات الضوئية وصورتها تصويرا مباشرا دقيقا كما تسجل العين الانطباعات المباشرة للرؤية المنطبقة على الشبكية نتيجة تسرب الحزم الضوئية للاشعة الشمسية •• متأثرة بالضوء المفاجيء الذي يعكسه لون براق بالمقارنة مع الظل الذي يليه •

ولنأخذ مثلا رسم شجرة •• ان الفنان التأثيري لايهمه نوع الشجرة ، ولا تاريخها ولا الخامة التي تتألف منها ولا دورها الحضاري في خدمة الانسان والطبيعة وعلاقتها بالنباتات وتحديد الفصيلة التي تنتمي اليها ••

ان كل ما يهمه هو سقوط أشعة الشمس على وريقاتها وتلوين هذا الضوء الساقط •• واغفال الاوراق الاخرى باعطاء ألوان ضبابية غامقة تارة وفاتحة اخرى بحيث توحي بالاوراق •• ولكنها لاتمثل الورق تمام التمثيل •• وحتى الجذع يبحث الفنان عن الضوء الساقط عليه ليبرزه في لمسة عريضة خشنة مليئة بالعجينة الزيتية للالوان بشكل خاطف وسريع لايقل عن سرعة سقوط الاشعة الضوئية على زاوية منه •• لذلك يؤخذ على هذه المدرسة ضحالة التفكير العلمي ، والمسطحية في الرؤية ، والارتجال في اصطياد الفاتح والغامق دون تحليل علمي وعقلي لمادة الشيء وعلاقته بالارض والطبيعة والانسان وكونه شيئا دائما متحولا ••

بينما نأخذ مثلا فنانا مثل ريفيرا في المكسيك •• انه عندما يرسم حاملة الزنبق لايهمه أسقطت عليها أشعة الشمس أم لم تسقط •• ولا يهمه هل النور يكفي لاظهار بعض أزهار الزنبق أم لا يكفي ••• انه يهتم بالفكرة •• يهتم بالموضوع • يهتم بالانسان الذي يعيش داخل الهدف الذي يبحث عنه •• لا في لونه •• أو في شكله الخارجي •• أو في اصطياد لحظة سقوط حزمة ضوئية من شعاع الشمس عليه كما يفعل التأثيريون ••

ان التأثيريين كانوا يفخرون بانهم يرسمون موضوعاتهم في سرعة خاطفة لان الشمس كانت تتحول عما يرسمون في سرعة خاطفة !

اذن كانوا يرسمون السطح •• فقط •• والسطح المتغير أيضا الذي يرتبط لونه بلون الضوء

المتغير بين لحظة واخرى .

ومن هذه النقطة يتم اللقاء بين المفهوم الفوتوغرافي في التصوير وبين المدرسة التأثيرية حيث يفخر المصور الفوتوغرافي بتصوير طائر متحرك في السماء .. أو في تصوير رجل يسقط من اعلى البناء .. أو في تصوير حريقة لبناء كبير بعد دقائق يتغير كل شيء ..

اما المصور الزيتي الذي يرسم على أساس عقلي ووجداني وفلسفي لايهتم بالشيء المتحرك المتغير بقدر ما يهتم بالشيء الثابت الخالد الذي يعبر عن الديمومة خلال عصر كامل من الزمن !

وهذا ما لم يعترف به التأثيريون ..

ونحن هنا لاننكر ان العلم بنظرياته الجديدة قد أثر كثيرا على ظهور المدرسة التأثيرية حيث أخذوا منه ما يؤكد وجهة نظرهم وطبقوه على اعمالهم مثل نظرية قرص نيوتن المؤلفة من الوان عديدة تدور في لحظات لتشكل بمجموعها لونا واحدا نتيجة دمج جميع الالوان دفعة واحدة .

أو نظرية التكامل اللوني حيث يكمل الالوان الاساسية الثلاثة الاصفر والاحمر والازرق بعضها بعضا فالاصفر على الاحمر يشكل البرتقالي والبرتقالي يكمل الازرق وهكذا دواليك بالنسبة للونين الآخرين .

ونظرية شفريل في الشفافية والبعد الهوائي الضبابي كما قلت آنفا . ونظرية هولتس في تحليل عملية الرؤية والطيف الشمسي وربطها باعصاب العين والشبكية فيها .

صارت هذه النظريات جزءا من المقومات الاساسية للمدرسة التأثيرية وشرحا لها ومبررا لكل التجارب التي جاءت منها .

حتى ان الناقد المعروف هربرت ريد قال عن التأثيرية انها (الواقعية العلمية) .

ولا شك كذلك بأن ظهور آلة التصوير الفوتوغرافية قد أثر كثيرا على الفن التشكيلي في اوربا بحيث صار من السهولة أن تنقل لك الكاميرا مجموعة مواضيع معقدة وصعبة بثوان معدودة ، بينما كان الرسام يرسمها طوال أشهر بل سنين ، لذلك وحتى لايكون الفنان مجرد آلة فوتوغرافية ينقل الطبيعة كما هي خرج باسلوبه الجديد الملون الرشيق الذي يختلف شكلا وموضوعا عن حقيقة الطبيعة الاصل يتحدى بذلك الآلة الفوتوغرافية التي هددت كيانه وغيرت جذريا المفاهيم الاكاديمية التي كانت تدعو الى حرفية النقل عن الطبيعة .

ونذكر هنا رسالة كلود مونيه من الجزائر عندما كان في خدمته الالزامية في الجيش الفرنسي التي أكدت أن رؤيته للشمس الساطعة لاول مرة في حياته في الجزائر غيرت كثيرا من فهمه للطبيعة ونظرته للاشكال حيث كان يرى كل شيء من خلال ضوء المصباح في المرسم !

وأشرق في نفسه حب الالوان الساطعة الصريحة ، وعاد مونيه الى باريز يحمل معه هذه الثورة اللونية الجديدة ونفذها في لوحاته وتجاربه العديدة وخاصة عندما رسم كنيسة (روان) أكثر من مرة في عدة ساعات مختلفة من ساعات النهار ، ويعود في نفس الوقت من اليوم التالي ليكمل اللوحة وليعرف أثر الشمس على الاشكال واختلافها من ساعة الى ساعة من حيث اللون والظل والنور والفورم . وكانت تجاربه هذه من أهم النتائج التي قيمت الاسس الهامة للمدرسة التأثيرية .

والحقيقة ان الثورة التأثيرية لم تبدأ باللون فقط أو بالضوء فقط ولكنها بدأت كذلك في المواضيع حيث صار الفنان يعالج مواقف كانت الى وقت قريب محرمة وغير مسموح بها .

فأولا خرج الفنان من الرسم المظلم الذي كان يقول عنه مونيه :

(انني كلما أدخل المرسم اشعر كأنني داخل الى قبر) ..

خرج الفنان الى الطبيعة ، الى النور ، الى الشمس ، الى الضوء الساطع ، الى مساقط الاشعة الشمسية .

ثم بدأ يهدم كل الاسس الكلاسيكية القديمة ويبني قيما جديدة تختلف جذريا عن سابقتها ، فمثلا مانيه في لوحته « غذاء على الشعب » اولمبيا العارية ، اعتبرت هاتان القصتان بحد ذاتهما ثورة على الاخلاق وعلى الفضيلة حتى قال عنهما احد النقاد :

(انهما الفن المنحط)

ولا بد لكي تتوضح جوانب التجربة عند التأثيريين من ذكر بعض الاسماء الهامة من هؤلاء الفنانين الذين تركوا مجموعة من الاعمال الفنية خلال فترة قصيرة من الزمن .

ادوارد مانيه ١٨٣٢ – ١٨٨٣

بدأ واقعيا مثل كوربيه لذلك اعتبر الجسر الحقيقي بين المدرسة الواقعية والمدرسة التأثيرية على رأي الناقدة سارة نيوبار .

وقد كانت تجربته بالالوان تتلخص بفرش اللوحة بلون ناصع ثم يضيف الالوان القاتمة عليها شيئا فشيئا متتبعا الظل ثم النور في الطبيعة عكس الكلاسيكيين الذين كانوا يفرشون اللوحة بلون غامق ثم يضعون اللمسات الفاتحة الناصعة في اللوحة .

وقد استمر مانيه طوال حياته يبحث ويغير اسلوبه من تجربة الى اخرى تارة متأثرا بفن هوكوساي الياباني وتارة بفن كوربيه ، وتارة بجويا ونيلاسكيز وفرانز هلز .

ومن الملاحظ في الوجوه التي رسمها مانيه ان الاضاءة فيها غير محددة لذلك كانت تبدو غير مجسمة .

واعتبر مانيه المؤسس الاول للمدرسة التأثيرية ثم يأتي بعده بيسارو الذي كان له الفضل الاكبر على سيزان في اخراجه من المرسم الى الطبيعة ليرى الشمس والنور الطبيعي .

وبيسارو عاش طوال عمره مع الطبيعة يرسمها باسلوبه ويعلم من حوله من الفنانين الشباب مثل مونيه ، والطريف ببيسارو انه حتى في ايامه الاخيرة قرر ان يدرس اسلوب سيرا الذي كان يميل الى تطبيق نظريات علمية دقيقة في رسمه التنقيطي حيث يضع نقطة ملونة الى جانب النقطة معتمدا على نظرية التكامل اللوني بحيث ترى اللوحة من بعد معقول تندمج النقط اللونية وتشكل لونا ثالثا جديدا من مجموعة الوان متعددة . فمثلا يضع نقطة صفراء الى جانبها نقطة حمراء ، وعلى بعد قليل من اللوحة ترى لونا برتقاليا حيث ان الشبكية في العين تربط اللونين معا وتشكل منهما لونا ثالثا .

وقد قال احد النقاد عن اسلوبه هذا :

ان هذا الاتجاه العلمي الدقيق من خط ولون وشكل أفقد اللوحة الاحساس وجردها من العاطفة وهذا صحيح الى حد كبير لهذا وجدنا بيسارو يعود فيترك سيرا بعد ان اغرم باسلوبه بادىء الامر .

وسيرا كان له أثر كبير على سيزان وجوجان وفان جوخ الذين تخطوا التأثيرية بمراحل ومهدوا لمدارس فنية جديدة .

اما مونيه فهو الوحيد من التأثيرين الذين حافظوا على التأثيرية ولم ينحرف عن اسسها وتعاليمها اطلاقا حتى آخر ايام حياته .

اما ديجا فقد انتقل الى الخطوط والى التكوينات والى المواضيع المسرحية واهتم بالتانيلو وتجارب

الباستيل والزيت والتربانتين ثم جمع بين الباستيل والجواش والزيت في لوحاته •

اما سيزان فقد خرج من التأثيرية ليمهد للمدرسة التكعيبية وهي أهم خطوة في تاريخ الفن الحديث حيث انتقل الرسم من مرحلته اللونية المسطحة الى مرحلته النباتية المجسمة او بشكل آخر نقول أن سيزان نقل الفن من المفهوم السطحي العاري الى المفهوم العلمي البنائي وبدأت تظهر من ايام سيزان فلسفة جديدة للفن على اساس تجسيم الفورم وتحليل الطبيعة الى اسطوانة وكرة ومخروط •

كان سيزان يبني لوحاته ليس بالالوان انما بتنويع درجات حرارتها وعمقها وشدتها وكان يقول :

عندما يبلغ اللون هذا الامتلاء يبلغ الشكل حد الاكتمال ، اما رينوار فقد جرب العودة الى اسلوب انجر ولكنه رجع الى اسلوبه ثم اصيب بالشلل فتغير اسلوبه كله نتيجة المرض •

بعد ••

ماذا كانت النتائج التي ترتبت على كل هذه التجارب الفنية على اختلافها وتنوع شخصياتها ••

او بكلمة ادق ماذا تركت المدرسة التأثيرية للفن بعد القرن التاسع عشر ؟ ان الجواب بسيط للغاية ويمكن ملاحظته من خلال اعمال ثلاثة من اهم فناني اوروبا خلال قرن كامل :

فان جوخ وجوجان وسيزان

وكما قلت آنفا ان كل واحد من هؤلاء استفاد من التأثيرية واخذ منها وطبق نظرياتها في معظم لوحاته ثم خرج كل واحد منهم باسلوب خاص به كان فيما بعد مدرسة كاملة من مدارس الفن •

ففان جوخ اوجد التعبيرية ومهد للوحشية وجوجان اوجد التركيبية ومهد للتجريدية ، وسيزان اوجد التكعيبية ومهد لتبلورها على يد براك وجري وبيكاسو ••

وما هؤلاء الثلاثة •• اعني فان جوخ وجوجان وسيزان الا استمرارا للمدرسة التأثيرية وامتدادا لها •

وهكذا نرى كيف ان التأثيرية من بدايتها على يد مانيه حتى سيزان انتقلت بالفنانين من المرحلة الواقعية الى المرحلة الشكلية اللونية التي تعتمد على اللون البراق والضوء الساطع الخاطف والرؤية المباشرة والانطباع السريع وتسجيل الاساس الاولي بلمسات جريئة وعريضة لاغية الخط مستفيدة من نظريات علمية كثيرة رافقت ظهورها ، متأثرة بالفن الياباني وباللقطة الفوتوغرافية مهملة المنظور الهندسي •

انتقلت بهم من تلك المرحلة الواقعية ومرت بهذه التجارب الكثيرة كما رأينا على يد الفنانين التأثريين الى المدارس الجديدة التي سميت فيما بعد : بالتكعيبية والتجريرية والوحشية !

وتجربة سيزان وتفسيره اللون انه شكل شيء غير عادي كان ال أثر كبير في فهم الطبيعة وتحليل اشكالها فيما بعد وليس سيزان الا واحدا من التأثيريين الذين اضطهدوا أكثر من غيرهم في أكثر من مناسبة خلال ثمانية معارض أقامها التأثيريون خلال اثني عشرة عاما من عام ١٨٧٤ الى عام ١٨٨٦ وهو بحق ركن هام من اركان الفن المعاصر في القرن العشرين واكبر نصر للمدرسة التأثيرية •

حيث ثبت دعائم التأثيرية وبلور نظرياتها بشكل علمي وعملي لم يسبقه اليه احد ، وكأنه بهذا حقق ما قاله في يوم من الايام : « لقد اردت ان اجعل من التأثيرية شيئا متينا باقيا كالآيات التي ترى في المتاحف » •

اريدك معي

قد تدهشك رسالتي انـا التي ربما نسيت حتى اسمي وشكلي •• لماذا أحدثك انت دون غيرك •• انه العيد واريد من احدثه ، واشركه دنياي بل لحظتي هذه •• ولا ادري السبب الذي دفعني الى الكتابـة اليك انت •••

اكتب اليك والظلام يلف الكون والنور يزحمـه في عرشه مبشرا بصباح مشرق •• انه العيد •• فيهرع كل طفل الى امه يطلب الثياب الجديدة والحلوى •• وتضم كل ام طفلتها الى صدرها وتعنى بها وتعقد لها الشريط في شعرها وتشد الحزام على خصرها •• كل ام تفعل هذا ، الا انا فطفلتي بعيدة بعيدة •• وعلي أن استقبل العيد بصمته الموحش وافراحه الكئيبةوبسمته الشاحبة ••

لا تقل اني انا التي اخترت دربي هذا ، بل قـل ماتشاء واشتمني وابصق عنـد ذكر اسمي كالآخرين كل الآخرين فاني استحق ذلك •• اقذفني بعيدا ولكن استمع الي •• استمع الي كانسان وانك كـذلك •• ولا تظن اني احدثك لتأخذ بيدي فانا لا امد يـدي لنفسي •• بل لماذا امدها •• ولا اريد عطفك ولاعطف أي انسان واني مستعد لتمزيق من يعطف علي ولو بكلمة لاني اكره العطف ، واحتقر الشفقة ••

اني اتمزق اكاد اجن •• مئات المطارق تهوي على رأسي مع مدافع العيد ، آلاف الاصوات والاحداث تعوي في قلبي ، تنهش لحمي ، ملايين الافكار تعصف بي •• من انا ؟ اين انا ؟ اين اذهب ؟ ما اعمـل •• لست ادري •• بـل اعرف واخفي معرفتي في عمق اعماقي ، اخفيها وراء بسمتي البلهاء وتمردي التافه•• وحقدي الاسود وكرهي اللئيم••لن استمر•الاصوات تكاد تأخذ بخناقي ، صوت طفلتي العائدة من المدرسة، انها تناديني، تطلب مني ان اخـذها الى صدري ، ان ارشدها الى حـل مسألة استعصت عليها •• لا انهـا لا تسأل عني •• ماذا ؟ ابني ينادي يريد ثياب العيد•• لا انه بعيد بعيد •• صوت زوجي يطلب الطعام ويأوى الى غرفته لينام •• لا ، سعيد ليس زوجي وطارق ليس ابني وحنان ليست ابنتي •• انا لا طفل لي ولا زوج ولا بيت •• اني امرأة خاطئة •• مجرمة ، تركت زوجي وولدي •• اجل تركتهـم بارادتي ووعي •• هربت كاللصة ليلا •• لا بل خرجت في وضح النهار وزوجي في عمله وطفلاي في المدرسة •• ماذا ؟ أهربت؟؟ لا ، أنا لم أهرب• غيري التي خانت زوجها ومرغت اسمه في الوحل •• غيري التي تركت طفليها فريسة الحرمان والذل ، غيري التي اساءت الى ام قديسة واب ملاك وعائلة كريمة •• اما انا فاني لا ازال في بيتي اهيء هدايا العيد وارتب بيتي واستعد لاقامة وليمة دعوت اليها اهل زوجي واهلي •• هاهو بيتي نظيف مريح وطفلاي يرفلان بثياب العيد وهداياه وسيعود زوجي ليأكل وينام •• لا لم اهرب •• اني في بيتي •• ماذا.. رباه ماذا ارى •• انه ليس بيتي ان بيتي كبير يطل على شارع فخم •• اين انا •• ماذا حولي ؟ لا ، اني لست في بيتي بل لا بيت لي فأعود اليه •• ولا اهل استقبلهم ولا مدينـة امشي بها ولا اصحـاب التقي بهم •• لقـد هربت من البيت والزوج والاطفـال

والمدينة .. اجل هربت .. هربت معه .. مع ذلك الانسان الذي لم استطع مخالفته ، ان أقول له لا .. بل انا التي هيأت درب الهروب واعددت له العدة .. بربك استمع الي .. اني بحاجة لان أحدث انسانا .. لان احدثك انت .. لان اقول شيئا .. لقد مللت محادثة الجدران وملت الجدران حديثي وعافته .. وما شأنها بانسانة طعنت زوجها النبي بسكين مسمومة وتركته حطاما وداست تلك الحطام بارادة وتصميم..

ارجوك استمع الي ولا تقل انني اهذي ..وكيف لا اعرفه واهرب معه .. انني لا اعرفه ولا اعرف من هو ؟ انه غريب عني .. لاحقني كظلي بل اناالتي تشبثت به وعلقته ووجدت بدفئه ضالتي او هكذا خيل الي .. كنت بحاجة لمن احدثه ، لمن يستمع الي ، لمن يعرف اني انسانة تريد ان تعش انسانيتها .. كان الجميع يحسدني على البيت الكبير والاطفال الموهوبين ومركز زوجي المثالي ... ذلك المركز الذي ماعرفت منه الا الظلال والمتاعب .. اما من انا .. وكيف اعيش وما يمزقني.. حرماني الكلمة الحلوة اسمعها .. حاجتي الى النظرة المعبرة .. حنيني لمن يسألني ما بك .. بل لمن يحدثني ويبقى معي .. هذا لم يعرفه أحد .. وجاء هوفوجدت به ضالتي .. لا لم اجد به شيئا .. ولكن لا ادري لماذا لحقته بل جعلته يلحق بي ... نعم اناالتي غررت به.. كلا لم اغرر به ، كنت مخلصة بندائي وحاجتي اليه .. دعوته الى بيتي .. اجل لبيتي .. بيت زوجي واطفالي ... ما بي ارتعش .. انها نفس الرعشة التي انتابتني يوم لامست عيني شعاع عينيه المتموج ونظراته القويه، يوم استراحت يدي في يده تلك اليد الدافئة الرطبة.. اجل ارتعشت في ذلك اليوم وخفت واسرعت الى زوجي ليحميني وطلبت منه البقاء الى جانبي ولكن انى لرأسه المليء بالارقام ان يفهم هذا ... وعادت الصورة والرعشة .. نفس النظرة القوية والكلمة الدافئة واليد الرطبة والتصقت بزوجي ثانية وتوسلت اليه ان يسهر معي ، الا يتركني فريسة الوحدة والضجر .. فأجابني بهدوء :

ـ واعمالي واجتماعاتي وعملائي ...

ـ ارجوك .. ارجوك ابق الى جانبي .. انـي مريضة .. متعبة ..

فمـا كان منه الا ان استدعـى لي طبيبا .. أي استدعاه هو ... فصحت ...

ـ اني لست مريضة ولا اشكو علة ولا اريدعلاجا .. اريدك انت .. اريد ان تذهب معي ..مللت البقاء في البيت وترتيب الاثاث ..

ـ اذهبي أنى تشائين ..

ولكني اريدك معي .. لااريد الناس .. لا أريد الاخرين .. اني زوجك .. اعطني وقتاكأحدعملائك ، كاحدى صفقاتك .. ابق معي ليلة في الاسبوع ... يوما في الشهر نصف يوم .. ابق معـي في البيت ، حدثني استمع الي ..

فابتسم وقال :

ـ انا لماذا اعمل ..؟

ـ ارجوك ...

ـ اني أعمل من أجلك واجل أطفالك ...

ـ ولكني انا واطفالي نريدك اكثر من الثروة ..

ـ سيفهمان يوما كل شيء .. كوني عاقلة ..

قال ذلك وهو يتمم ارتداء ملابسه وتركني دون ان ترجف عضلة في وجهه ...

كنت كل ليلة اتشبث بعنقه ارجوه واعيد الكلمات بألف لون ولون .. ولكن انى للتمثال ان يحس ... انى للحجر ان يدرك ... انى للارقام ان تشعر .. ان تتحسس الكلمات الدموع انى للجماد ان يكون انسانا أو ان يعرف ماذا تعني العلاقات الانسانية ..

وشيئا فشيئا ادركت عجزي عن احتماله .. عـن احتمال اهانته لي وذلي... اجل اهانتي .. فاهماله لي وتركي ومعاملتي بهـذا الشكل اللانساني اهانـة

واحتقار .. ولم استطع ان اعيش حياة من حولي وبقيت بعيدة عمن يحيط بي لم انسجم معهم رغم حياتي معهم اكثر من عشر سنوات ... لا لم استطع ان يبقوا غرباء عني •• وبقيت اعمالهم وتصرفاتهم غريبة عن فهمي .... والاهانة بمرور الزمن تحفر أخاديد اعمق فاعمق في غور روحي ... وتحولت تدريجيا الى حقد وكره .. الى حقده هو وكرهه هو .. وكره نفسي ووسطي ووجودي والوجود ... اني احقد عليه لانه هو الذي أجج نار حقدي وغذى كرهي ...

وخفت ذلك الكره والحقد ، خفت الرغبة في الانتقام يولدها هذا الوضع .. وكان ماخفته .. اني ابحث سرا وعلنا عن شيء يزعجه ، شيء يحرك ناره .. يثير انسانيته .. وكان هو ذلك الانسان الذي يلاحقني بشبابه العارم وناره المتقدة .. ونظراته المعبرة ، وسؤاله اللاهف .. يناديني في الهاتف ويبقى الى جانبي اينما كنت .. يفتح لي قلبه .. يطلعني على حياته .. على مغامراته .. فاستمع اليه الساعات الطوال كالطفلة الصغيرة •• انه يشركني في عالمه ويطلعني على دنياه الملونة•• ويستشيرني بحل مشكلاته•• واحيانا يعود زوجي فيجده بيننا ، ابني في حضنه وابنتي بين يديه وانا متكئة على المقعد .. فيرحب به ويسأله عن صحتي وصحة الاولاد ويمنحه الاجر الكبير لرعايته صحة العائلة •• ويتحدث معه في اسعار بعض الادوية التي كان وكيلا لها ويغرق في حساباته وتلفوناته وانا اتمزق في زاويتي .. اه لقد مللت كفرت بالاجراس والحياة العجيبة .. جرس الهاتف ، جرس الباب ، جرس المكتب ، برقيات .. اسئلة .. اعمال .. ضجيج .. اجتماعات الى ساعة متأخرة من الليل .. وولائم لاناس اجانب .. عملاء الشركة .. حديث في الارقام الصحيحة والمزورة ..

التصقت بطفلي اعيش لهما ومن اجلهما وتمنيت طفلا صغيرا يملأ فراغي .. ان حضني يشتاق الى الجسد الصغير يضمه بحنان والى اليد الدافئة تبحث عنه باستمرار ... ولكنه رفض ان يمنحني ذلك الطفل •• فأعباء التربية ثقيلة وكثرة الاولاد تبدد الثروة •• حاولت اقناعه باننا اغنياء وانني شابة واتولى كل شيء .... لقد كان متفقا ومحسوبا مسبقا يوم تزوجنا بل قبل أن أتزوج ، يوم قرر ان يتزوج ان ننجب طفلين فقط ... ولا يجوز مخالفة الارقام التي تسير حياتنا ولا الحساب الدقيق الذي بفضله اصبحنا بهذا المستوى ... نعم حرمني الطفل كما حرمني مرة — واظنك تذكرها — ان ارضع ابنتي من ثديي فهذا لا يليق .. ودفع بها بكل قسوة الى احضان خادمة تعطيها الطعام من زجاجة وأنا امها ارقب كل هذا ... وان تكلمت معنى ذلك اني رجعية ومتأخرة .. اه ماقسى ذلك اليوم •• ما احوجني الى طفل يلتصق بي •• اني أم .. خلقت اما .. والامومة تتفجر بكل ذرة من كياني •• أم تريد طفلا صغيرا لقد كبر طفلاي وابتعدا عني الى عالمهما الخاص •• الى دنياهما العبقة ولم يعودا بحاجة كبيرة الي •• وثار حقدي ولاحقني شبح ذلك الانسان .. بل لاحقني ذلك الانسان وعرف كل شيء وطالت جلساتنا واصبح ضرورة في حياتي كل ما حولي يفتقده ان غاب او تأخر ويردد حديثه ومواقفه .. الشجرة الكبيرة في الحديقة تسألني عنه .. المقعد العريض يحن اليه .. زهرات الانية تشتاقه .. اللحن العاطفي يدعوه .. طفلتي تبحث عنه ... طفلي يناديه بالحاح ... واصبحت أراه في كل شيء • لا أرى غيره ولا اسمع غير صوته .. واتسعت اعمال زوجي اكثر فاكثر .. وامتدت خارج البلاد .. أي فتح فرعا للشركة في اكثر من بلد ومعنى ذلك سفره ولمدة طويلة وعلي ان ابقى في الدار بين الصمت والانتظار ...

توسلت اليه مرة ان يصحبني في احدى تلك السفرات فلبى بعد جهد وليته لم يفعل .. لقد انتقلت من بيتي الى السجن في فندق في بلدة بعيدة وذهب هو يتدبر

صفقاته واجتماعاته ...

وكانت الضربة التي اطاحت بي .. بل المصيبة التي غمرتني وهدمت ما بقي من قوتي واعصابي يوم قال بعزم وتصميم :

ـ يجب ان نهيء امتعة الصغيرين بمدة اسبوعين ..

فسألته بلهفة ...

ـ لماذا ؟

ـ سيذهبان الى مدرسة داخلية في لبنان ... فدلالك افسدهما .. وكانت تصرفاتي مع الصغيرين لا تعجبه ... ويعيب علي بينه وبين نفسه معاملتي لهما ...

ـ ارجوك ... انهما متفوقان في دروسهما .... ومهذبان ومثال للاطفال .. فحنان لم تبلغ التاسعة تقرأ بشكل جيد وتناقش الامور بمنطق سليم وتعزف على البيان وتفهم بامور اللياقة كأي سيدة . انها حديث الجميع وانت تعرف ذلك .. كما ان طارق رجل ولم يبلغ الثامنة من عمره وانت نفسك تؤكد هذا ... انسيت قول صديقك الالماني مرة ... ان ابنك يفهم حتى بامور التجارة وبامكانه ان يسك فرعا تجاريا قبل ان يبلغ الخامسة عشرة .. فأين الفساد والدلال ..

ـ اعرف هذا ولكن بعد مدة يفسدان ..

ـ ارجوك .. فكر في الموضوع ثانية ..

ـ انت تعرفين اني لا اقدم على عمل الا بعد ان احسب حساب جميع الاحتمالات .. لذا لم تخطيء حساباتي يوما .. اني منذ سنوات وانا أفكر في الموضوع ... بل فكرت فيه قبل ان أكون أبا ..

ـ ارجوك ...

ـ يجب ان يتعودا النظام والقسوة وحب العمل ..

انهما يعرفان كل شيء .. ماذا ينقصهما عن احسن طفلين في العالم ..

ـ ينقصهما ..؟ ينقصهما الشيء الكثير .. ابنة تسع سنوات وتنام على زند امها .. وابن ثمان سنوات يهرع باكيا ان سمع صوتا قويا ..

ولكن ... ولكن هذا طبيعي انهما صغيران ..

ـ ارجوك هذا لمصلحتهما ومصلحتنا . لقد اخترت لهما احسن مدرسة ...

ـ ولكنهما بحاجة الى العطف والى الحب .. بحاجة الي ...

ـ نستطيع ان نعتبر الموضوع منتهيا ...

ولم تجد دموعي ودموعهما ودموع الارض والسماء .. ما من كلمة الا قلتها وما من رجاء الا تشبثت به ... لقد قبلت اقدامه مرارا ومرارا وقبلت الارض تحت اقدامه عبثا ..

وبعد الصغيران في اللحظة التي قررها وغدا البيت قبرا موحشا ... وانه لكذلك ... غاب الصغيران ذهبا بعيدا بعيدا .. ذهبا الى الوحدة والحرمان .. ذهبا الى هنالك الى ذلك المبنى الكبير واصبحا رقما بين الارقام اجل اصبحا رقما .. ويعاملان كذلك .. انهما جزء من آلة كبيرة تضم العدد العديد من امثالهما كل شيء هناك رقما .. على الثياب وعلى الامتعة لصق ذلك الرقم ... حركتهما اصبحت رقما ، جزءا من آلة كبيرة ... كنت اعيش وحدتهما واهانتهما هناك وطال ليلي واشتد الظلامة ولم أعد احتمل رؤية زوجي .. مجرم .. قاس .. لمن اشكوه لامي ؟ . للتي تجده امثال الرجل الكريم المهذب .. لابي الذي يفخر لكونه زوج ابنته ويعد زواجي منه منحة من السماء .. لمن حولي الذين يرون فيه ملاكا يستحق التقدير ..

آه ما اشقاني بثروته وكرمه وتهذيبه وثقته بي وحركاته المحسوبة مسبقا .. كنت ابحث عن شيء اشكو منه يقنع الآخرين عبثا ، في الوقت الذي املأ الدنيا شكوى .. كل ما تطلب الانثى في العالم أتمتع به .. جمال وذكاء وثقافة وشباب ومركز محترم وزوج مثالي وحرية مطلقة .. كنت اصيح في اعماقي ... محاولة تمزيق تلك الاعماق وذلك القلب .. اصيح

لاسمع صياحي.. ليس هـذا ما اريده .. اني انسانة .. انسانة واريد من يعاملني بالمستوى الانساني .. انسانة بحاجة لانسان قربي .. وبت احسد الجميع حتى الخادمة الصغيرة .. انها تسهر مع زوجها يداعبان طفلهما ويتناوبان تدليله وحضنه .. ويتمتعان بحياتهما ويشعران بانسانيتهما .. اغنية في المذياع تعطيهما متعة ... يرقبان العطلة فينطلقان الى الطبيعة الى الجمال يجدان دائما ما يتحدثان به .. يتخاصمان مرة ويعود احدهما نادما مستغفرا فيصفح الآخر وتكون ليلتهما ممتعة بعد ذلك أما أنا فاني أعيش الوحدة والحرمان حتى مع اطفالي .. لا يجوز لي ان أزورهما أو ان يأتيان الي الا في اوقات معلومة .. احاسب على بقائي قربهما عدة دقائق زيادة عن الوقت المحدد .. وزوجي نسي ان له زوجة او انه متزوج .. وشعرت انه لم يبق لي زوج .. وانقطع آخر رباط بيننا بسفر الصغيرين واصبح أي غريب اقرب الي منه ولم يشعر هو بذلك .. لم يحرك سفر الصغيرين نفسه .. وان كان شعر بغيابهما ولكن لا يليق به أن يعبر عن هذا فتنقص رجولته ... تمنيته ان يتحدث ان يبرر موقفه ، ان يذكر ان هناك طفلين بعدا .. لم احتمل جموده وشعرت انني اكرهه ، احقد عليه وتركز حقدي وكرهي واخذ شكلا مخيفا عندما علمت بمرض ابنتي .. حبيبتي الموهوبة .. معبودتي الصغيرة .. ابنتي التي لم تعرف غير زندي وسادا وغير صدري فراشا .. تعيش وحيدة في مرضها .. ابنتي التي ان خدشت يدها ابقى الى جانبها الساعات الطوال .. صغيرتي التي لا تغفو قبل ان اسرد لها الحكايات والاقاصيص .. ابنتي التي لم اوقظها مرة الا على الحان شوبان وشتراوس .. ابنتي هذه تمرض وانا هنا بعيدة .. لا محال .. انها ابنتي أنا وليست ابنة أي انسان في العالم .. ابنتي ومن حقي ضمها الى صدري والبقاء معها متى شئت .. وتوسلت اليه أن يعيدها الي ، ولكن عبثا .. صحت انها ابنتي .. انها لن تعيش هنالك في المبنى الكبير انها مرهفة ، قلقة تموت ان بقيت هناك .. وتكثف حقدي وحقد الكائنات في قلبي وتحول الى رغبة في الانتقام منه... سأجعله يعرف الجحيم الذي اعيشه .. اريد لأي نار ان تحرقه .. اريده ان يعرف معنى الالم .. اريد اي جرح يؤذيه ويدمي قلبه .. أتمناه ان يأرق .. يأسف ... يندم .. يصيح .. يعرف الكآبة والمرارة .. يعرف ماذا يعني الالم الصامت والسؤال الحائر .. وكان صوت الاسر يدوي ملء البيت ، فاستمعت له.. ولبيته .. أجل استمعت اليه ولبيته ..

بربك ابصق في وجهي .. اقذفني بعيدا بعيدا .. انا الانسانة المستقيمة التي يتحدث الجميع عن حسن اخلاقي استقبلت رجلا غريبا .. بل استقبلته هو صديق زوجي وطبيب اطفالي .. هو وبغرفة زوجي وسريره .. ومنحته كأي بائعة هوى كل شيء .. اجل كل شيء .. منحته لا حبا به او بالعمل بل انتقاما لزوجي .. ولكن بعد ليلتي الاولى معه شعرت انني انسانة ثانية .. واختلطت عندي الالوان والاصوات والمفاهيم والقيم .. وكأنني أعيش في حلم ، في ارض ثانية .. وتجددت ليلتي الاولى .. لا ترتعد .. اجل تجددت .. ماذا أحس .. ماذا احس في أعماقي .. لماذا أطلبه واستسلم له .. اين الحقد .. اين الكره .. اني اطلبه لا حبا بالنقمة كما وهمت بل اني اطلبه هو واريده هو .. واصبح واقعا ما كان تمثيلا ... واصبحت أرى الدنيا من انفراج شفتيه وبسمة عينيه ...

وتكر الايام وانا عشيقة ذلك الانسان ... ولم اشعر بالذنب أو الخطيئة فبقايا حقدي كانت تبتلع آثامي ... لقد ارضى ذلك الانسان غروري وجموحي .. ارضى أعوامي الثلاثين وحرماني الطويل .. اني اعرف الرجل للمرة الاولى .. اجل .. رجل بكل ماتحمل هذه الكلمة من معنى .. رجل يشعرني بانوثتي

للمرة الاولى اعرف ان الانثى تنتشي ويعني الرجل عندها شيئا .. للمرة الاولى اعرف ما تعيشه الانثى على مر الايام، كانت العملية معزوجي طقس من طقوس الزواج الليلية .. تتمة الاطار التقليدي .. اما معه فالامر يختلف .. انها حاجة وحاجة ملحة .. وليست ارضاء له فقط .. واغرقت متعتي المحمومة وحقدي وكرهي .. ونسيت من انا ؟.. واين اسير ؟.. وما شأني بالعالم ، بالبيت ، بالمركز ، بالزوج ... اني وجدت نفسي بين يدي انساني، وقد عرفت الحياة ولن افرط بها .. وجدت رجلا ولن اتركه .. اتركه محال .. واستطعت ان املأ دنياه .. ان اجعله يرى بعيني ويسمع باذني ويأتمر بأمري .. جعلته يهرع الي انى كان .. وحيثما وجد .. وتغيرت نظرتي لمن حولي وازددت احتقارا لهم .. بل احتقرت نفسي لخوفي منهم ... وتساءلت عما يربطني بهم ، لاشيء طبعا .. لماذا اخافهم ..؟ الى متى تستمر علاقتنا مستترة ، يهددها الخوف ويغلفها الظلام .. وحاول ان يفهمني ان منتهى حلمه الحياة معي بشكل علني وامنية امانيه ان اشركه بيته .. فهو يعبدني ولم ولن يجد مثلي .. ولكن المسألة شاقة .. فصممت اذني عن كل صوت الاصوت تمردي الابله وحقدي الدفين وكرهي العنيف ونشوتي المحمومة ...

بربك لن استمر، أكاد أختنق .. أجن .. علي أن اخفي الرسالة واثارها والا مزقني اربا .. اربا .. انه يحصي علي انفاسي ويغار من الارض أطؤها ... يغار من ثيابي .. من بيتي .. من ماضي معه .. من جمالي .. من تفوقي .. ماذا ؟ انه يتحرك ، علي ان اسرع في اخفاء الرسالة والا ساءت العاقبة بالرغم من انه يعرف كل ما كتبته وعاشه ثانية ثانية .. ولكن لا انه نائم ولن يصحو الآن ..

احفظ رسالتي هذه ولجعل منها قصة .. ولكن لا ، مزقها .. افعل بها ما تشاء لقد تساوت عندي الامور والاحداث . ولكن لا تمنحني النصح فاني ارفضه ولا تؤنبني فهذا لا يجدي ولا تبرر موقفي فهو فوق التبرير ..

انس رسالتي .. انس انسانة وجدت فيك ملجأ أمينا .. انسانة اعتدت ان تنظر اليها طويلا وتصمت ذلك الصمت المعبر .. وعندما تذهب الى هناك ... الى ما كان يسمى بيتي ، وتجلس الى من جعله الشرع زوجي وتحمل طفلتي بين يديك .. تذكر ان هناك في زاوية انسانة تحتضر .. انسانة ولدت في ارض موات ونفت نفسها ايضا الى تلك الارض .. ضم ابنتي الى صدرك وتأملها كما كنت تتأملني واستمع الى عزفها على البيان بل الى نحيبها على تلك الآلة .. وحدثها عن نيتشة والمعري .. حدثها عن الله والفن .. عن العبادة الحقة والحياة الحقة .. عساها تعرف الايمان الذي حرمته انا والسعادة التي اضناني الركض خلفها .. عساها لا تعيش الساعة الخامسة والعشرين الساعة التي لن تأتي .. واقنعها ان تعيش ساعاتها ان تعيش حياتها مع الآخرين ..

ابنتي الرائعة .. ابنتي الموهوبة .. ابنتي التي تعيش عار امها وخطيئتها ابنتي التي يكرهها الجميع لانها صورة عني .. نفس النظرة القلقة ، والشعر الثائر ، والصمت المتكبر والتمرد الخفي والكآبة الشاحبة والسؤال الحائر .. ابنتي .. ابنة الخاطئة والخطيئة .. ابنتي انا الصغرى .. ما اروعك ايتها الحبية .. يرون فيك ابنة العار والرذيلة .. وأراك انسانة تملأين الدنيا حبا وابداعا وانسانية ..

ارجوك اذهب اليهم باستمرار وخذ ابنتي اليك .. اني اخافها .. اخاف كرهها لي .. اخاف حقدها .. ليكرهني الجميع وليبصقوا في وجهي ولكن هي .. يقتلني بعدها عني .. ولكن لا دعها لكرهها وحقدها ستغدو شابة يوما .. وتعرف من انا .. وتفهم الواقع الصحيح .. اجل انها وحدها تستطيع ذلك .. وستضم

اسمي بحنان بين جنباتها وتدخلني محرابهـا القدسي وتصلي بي يدي الساعـات الطـوال وتبلل الارض بدموعها الصامتة .. وسأكون ـ شاء الجميع أم أبوا الانسانة التي تعيش من اجلها ...

ماذا ؟ اني اراها واشارات الاستفهام حولها بالمستنقع الاسن الذي تتردى به امها .. امها تعيش بن يدي عشيق ... اجل اني اعيش بين يـدي بل تحت قدمـي عشيق ...

لم طرقت بابي ؟؟ لقد دخلت منذ اجـل مملكة النسيان ودفنت فيها ما عبر من ايامي واتيها . مالي وللبشر لست من عالمهم وما بي رغبة الولوج اليه ..

كان يلح علي حدس ان شيئا منك سيأتي وأدفن هذا الحدس في اعماق تكاد تكون غريبة عني . وجهك عيناك ، شعرك صورة جسدية تقمصها روح هذا العالم وانا لا أكره العالم ولا احتقره وانما اخافه .. اخشاه .. يملأني رعبا .. عالمنا جميل .. انوار وألـوان والحان اعبدها ولكنها بعيدة عني بعيدة والانـوار لا تغمرني الالوان لا اتبينها .. والالحان اصبت من اجل قصي بالصمم ..

انا منذ زمن طويل احمل جنازة سوداء ، يوما بعد يوم تقودني خطواتي الى القبر وفي عيني دموع عصية .. جنازة سوداء تلف احلامي ، جنازة سوداء ارى من خلالها العالم ..

كان بيت سعيد (بيتك) هو الضبابة الوحيدة التي خيل الي فترة قصيرة انها ليست من العالم انها ارض سحرية ارض الزيزفون والزعفران ، قصر علي بابا الذي بنته الجن بين السماء والارض بعيدا عن السماء والارض وتعلقت بهذا السراب انفض فيه بؤس انسان وشقاءه ، ازرع فيه حنين انسان الى الصفاء وجنوحه الى المغيب .. كنت ابحث عن الشمس التي تشرق و لاتغيب ، عن القمر الكئيب الذي لا يمل السهر مع ابناء التأمل ولكن الضباب ضباب والسراب سراب ..

كانت اصابع حنان على البيان نشوتي وايماني ان العبقرية باقية على الارض لا يمكن ان تفنى تترك انسانا لتتقمص آخر كنت أرى فيها بذور الخلود وحنان العناية الالهية وابنك ما كان احلاه في ثياب زورو وهو مقنع يقول .. سلم ..

مررت بهما اليوم منذ ساعة .. قلت لهما .. عيدا سعيدا ..

باتت حنان نجمة الحي .. انها اتت قبل ان اغادر ارض الوطن الى اوربا .. اخرجها ابوها من المدرسة الداخلية وانا اراها كل صباح في سبيلها الى المدرسة تتبع نفس خطواتك .. شعرها المرسل غدائر شهباء على كتفيها .. مرة واحدة نظرت الى اعلى وحيتني ... انا على يقين انها تعلم بوجودي كل يوم ولكنها لا تسير الا مطرقة .. ابنك كبر عن اليوم الذي تركته ... لا يذكرك امام الناس ... يبدو انه غير حاقد عليك .. ولكن من يتطلع الى عينيه يرى طيف كآبة غريبة عن تلك العين ولونها العشبي ... ما زال كما كان كثير الحركة كثير الصراخ جدي القسمات يعطف على ابيه يتصرف معه وكأنه ابوه رغم صغر سنه .. ولكنهما ليسا كائني الامس لقد نزلا من قصر علي بابا وانضما الى الموكب الحزين موكب الانسان المتعب المثقل قـد لا ازورهما بعد الآن لاني لن اجد فيهما الكف التي تأخذني الى عالم الالوان .. بل لقد يئست من وجود هذا العالم .

ليتني بقيت في القرية ولم ادخل بيتكم .. ليتني احتملت رؤية البؤس والشقاء ورفضت العمل الذي قدم لي في دمشق .

احببت بيت سعيد لاني كنت أجـد فيه .. او هكذا ظننت مكانا لا ضياع فيه .. نسيت فيه اوربا ونسيت فيه القرية ... العالمين المتناقضـين اللـذان يلتقيان في نقطة واحدة عند اللانهاية .. اوربا في حالة النزع وقريتي ايضا تعاني ذات النزع ولكن على شكل

آخر .. نزع اوربا جاء نتيجة التخمة ونزاع قريتي جاء نتيجة الجفاف .. والتخمة والجفاف نهايتهما الوحشة والفراغ ... وكنت ابحث عن الامتلاء ووجدته ولكن من كان يظن ان العواصف تئن في عشك المترف ..

قد تكونين وجدت اليأس عندما غادرت البيت أما أنا فقد وجدته لما ذهبنا معا الى بيت الدكتور احمد .. هل تذكرين لما دعانا ثلاثتنا الى الغداء عنده واتصل بي سعيد كي امر بكما بالبيت .. منذ تلك اللحظة ردد في اعماقي هاتف الا بد من ازمة بينك وبينه .. قد لاتذكرين الحادثة جيدا لاني تبينت من رسالتك أن اشياء واشياء كانت تجري في الخفاء .. أما أنا فمازلت اعيش دقائقها حتى الساعة .. وجدت في طلب زوجك منتهى اللباقة واللطف واحسست اني لن اعيش غريبا في دمشق اني وجدت الاصدقاء الذين انسى بهم اوربا واهوال الحرب التي عشتها فيها ولذات اوربا وجمالها ..

كل مافيك كان منسجما مع البيت .. وجهك جسمك .. لم يكن فيه أي غريب الا عينيك .. كنت تتألقين جمالا وعذوبة ولكنهما تائهتان ، في بريقهما المشع ظل لكآبة تجهد ابتسامتك في اخفائها ...

تبينت كل شيء عندما دق جرس الهاتف وقال سعيد ..

ـ اعتذر لدي أعمال كثيرة .. مفاوضات مع تجار اجانب .. تستطيعين الذهاب مع انور انه اخي ..

نظر يدك وهي تشد على السماعة تتشبث بها ، تعلق الغريب بالعشب كان بائسا باكيا .. كلماتك حتى الساعة تحفر ذاكرتي حفرا .. ولكن اريدك ان تذهب معي .. ثم تراخت يدك واحسست انك غصت في اغوار بعيدة وان ارض الصالة قد انفتحت واغلقت على رقبتك فما يبدو الا وجه متهدج منتفخ ..

عندما دخلت الى الغرفة بحجة اتمام زينتك وخرجت كانت عيناك حمراوان وفي زاوية العين قطعة صغيرة جدا جدا من محرمة (كلينكس) اظنك لم تتبينيها ..

وقفت في حياتي اكثر من موقف حرج ولكني في تلك الساعة كنت في قمة الحرج .. أ أعتذر أم اذهب معك .. كنت في صراع اعنف واعند من الذي تعانيه .. انت كنت تجدين املا في ارتمائك في حضن غريب اما أنا فقد زالت ضبابة النور من امام عيني وتهدم آخر ملجأ اجد فيه الامان ودام الدوار الذي يقتلع جذور الحياة من اعماقي ... ودفعني الحاحك بالذهاب لان افعل لا حبا به وانما وددت ان اتبين شيئا وايد حدسي رفضك الركوب بسيارة سعيد او استئجار التاكسي .. كنت تودين ان تسيري .. ان تسيري طويلا الى لا غاية كنت تودين ان تقتلي الحنق بالمشي .. احببت اكثر من مرة ان احدثك لعل الحديث يطرد الغمامة السوداء من مخيلتك كنت لدي كل سؤال أسأله تنتفضين كأني اوقظك من حلم ومن افكار تشرد في افاق معتمة .. قلت لك :

ـ كيف الاطفال .. وانا اودبسؤالي هذا ان اعيدك الى البيت ان اعيد الجذر الى الارض التي يعيش فيها لان ريحا أخذت تقتلعه وكنت احس بشظاياه تتطاير حتى السماء .. فارتعشت وقلت ..

ـ نعم ..

اعدت سؤالي فاجبت :

ـ لا بأس ..

ـ كيف اهلك ...

ـ والله منذ مدة لم ارهم ..

ـ منذ كم ...

فنظرت الي خائفة وكأنك ادركت انشيئا ما يجول يجول في ذهني قلت :

ـ لا ادري ...

وانا موقن انك كنت تدرين .. انك تعلمين في أي ثانية بدأت اهمالك لهم لان اعماقك كانت تحلق في كل ثانية من مزانها كنت على يقين انك ترين كل لحظة ثورة من ثوراتك ..

اردت ان اجرك الى حديث ما أي حديث لانك كنت بحاجة الى حديث طويل .. الى من تكشفين له الازمة الى من تقولين له شيئا أي شيء .. ودفعك خجلك من هذا الغريب عن الحديث معي •• وليتك فعلت .. يخيل لي ان حديثنا طويلا كان بوسعه انقاذك ...

اتذكرين لما دخلنا البيت وبادرك احمد بسؤاله•• (اين زوجك) قبل ان يقول لنا اهلا وسهلا ... ارجو الا تؤاخذيني •• اذ قلت لك انه كان يزيد النار استعارا •• عندما دخلنا بيته كان يتصاعد لحن من (البك آب) لحن غريب عن جو البيت وجو احمد وضعه لا حبا بالموسيقى وانما ليرضيك .. وعندما جلست للغداء رأيت اشياء اغرب .. تعمد ان يجلس حدك وتشاغلت في الطعام وفي الواقع كنت ارقب ما يجري ... لقد تعلمت في اوربا الا اهتم بحوادث الناس وكثيرا ما كنا نرى شابا وفتاة يقبلان بعضهما في الطريق فلا نأبه لامرهما •• أما الحادثة التي كانت تمر امامي فقد كانت نوع خاص لانها تعنيك انت ..

وضع احمد رجله على رجلك فلم تحركي ساكنا ولكنك فجأة وبشكل عصبي حدت برجلك عنه وبعد قليل اعدتها الى مكانها ثم حدت بها مرة ثانيةوبعصبية اشد ثم اعدتها وحدت بها مرات متعددة .. قد تقولين اني مخطيء ولكن لا لقد رأيت كل شيء من تحت غطاء الطاولة القصير .. وعندما نهضنا رأيت على حذائك اللامع بقعة من تراب ولحظتها انت فتصنعت الدخول الى المغسلة وعدت وليس على حذائك شيء كنت مضطربة وانت تأكلين .. هل تذكرين كيف سقطت منك لقمة الرز وارتعاش يدك ••؟

وخابر سعيد معتذرا مطمئنا عنك وسأل متى تعودين للبيت قلت •• الساعة الخامسة •• ولكنك نهضت في الثالثة والنصف وطلبت مني لا من احمد ان اعيدك للبيت ورفضت ان يوصلنا بسيارته •• كنت تضحكين ضحكات صغيرة مبعثرة مشتتة وكان صراعك الداخلي يظهر بشكل فاضح رغم محاولاتك اخفاءه •••

في طريق العودة اخذت تكلميني انتولكن الصراع بدأ في داخلي انا وكانت اجوبتي أنا هي التائهة ••••

كنت اتساءل عن سعيد •• هل هو طيب الى هذا الحد ••• هل هو بليد الى هذا الحد •• هل يحبك ام لا •• هل في حياته امرأة أخرى ••؟؟

وبقي هذا السؤال يلح علي حتى ذهبت بالامس اليه بعد وصول رسالتك فانا لم ازره منذ غادرت بيته ... لقد بات لا يدرك الارقام ولا يهتم بالصفقات .. لقد تحولت عندما كنت عنده الى نهم للثروة ... كنت وراء سعيه المسعور للغنى .. كان دفئك يتحول الى ركض وراء الاوراق المالية .. انه من نوع العشق لا نفهمه نحن ولا يمكن للمرأة أي امرأة ان تدركه خاصة اذا كانت مثلك ترى الحياة لونا ولحنا ..

لقد رفع من البيت كل اثر لك ولكن الآثار التي في عينيه وفي شحوب وجهه وخطوطه هي ابلغ الاثار وابقاها ... لقد احبك بصمت وانت انسانة بحاجة للبوح الدائم والتقديس اتذكرين لما قلت له ..

(ما رأيك فيالهدية التي قدمها لي انور ••؟)هذه الهدية اتيت بها من اوربا لزوجة سعيد وكنت اجهلانك انت هي ...

لم يقل لك انه عقد جميل ولم يقل لك انه رائع في جيدك .. بل التفت الي وقال ..

(شكرا يا انور) فاكمدت نظراتك ولكنك لو تطلعت الى عينيه رأيت فيهما بريقا يقول اكثر مما تطلبين ...

كنت ارقب كل هذه الاشياء ولا ادري ما الذي دفعني عن التدخل .. اظن انيعدت متأخرا من اوربا ويخيل الي ان اصابع احمد قد امتدت الى شعرك الطويل وكلماته اللاهبة قد غمغمت في اذنك اكثر من كلمة ...

يوم تركت الدار قامت الدنيا وقعدت واستغرب الجميع الحادثة الا انا كنت انتظر ان يبدر منك شيء

.. لم يخطر ببالي ان تختاري احمد ولكني افهم الآن ان الاختيار لم يكن في يدك كنت تنتحرين بطريقة ما ...

اود ان اسألك سؤالا قد تجدين فيه تدخلا في شؤونك ولكنه يلح علي بشكل غريب .. اسعيدة انت في حياتك الجديدة ..؟ كانت رسالتك نشيجا وصراخا لقد خيل الي انك جزت مرحلة الانين الصامت ما السر في هذا ؟ ..

لقد دار في خلدي ان اذهب لزيارتك ولكن لم افعل لسبب بسيط وهو انك لا ترغبين بزيارة الاصدقاء القدماء ..؟

تقولين ابصق بوجهي .. العني العني .. وانى لي ان افعل ..؟

انا لا اعطيك الحق ولا الومك فيما فعلت ... كانت اقدارك اقوى منك واكبر .. كنت وسعيد كائنين يتخبط كل منهما في اتون لم تترك له شدة تخبطه أن ينتبه لعذاب الآخر ... كلاكما كان خائفا ... يخاف هو من تقلبات الزمن فليس في حياتنا العامة ما يضمن بقاء الثروة له وهو يزيدها ويزيد حتى تصبح اقوى واكبر من ان يستطيع الزمن النيل منها وظن ان سعادة الطفلين وسعادتك هي في الابنية يشترى والسندات التي يضعها في المصارف وانت في اعماقك شهيد يريد ان يمنح نفسه .. تريدين ان تمنحي الدفء للزوج والحنان للطفل .. تريدين ان تأخذي منه حتى تعطي .. لم ينتبه أي منكما لعذاب الآخر فجاءت النتيجة الحتمية شئتما ام ابيتما .. فلم الومك كل ما اريده ان ابذل صداقتي لكما لعلي ابدل اقداركما ... لعلي استطيع ان أرى كل منكما انه ليس ملوما ان اجعله يتقبل مصيره ..

بوسعك ان تعتمدي علي وما اسعدني اذا هدأت الازمة التي انت فيها ...

— خالده عبد الله —

أجمل ماقرأت (بقية)

انت فوق الخيال ، والشعر والفـ
ـن وفوق النهى وفوق الحدود
يابنة النور ، انني انا وحدي
من رأى فيك روعة المعبود
فدعيني اعش في ظلك العز
ب وفي قرب حسنك المشهود
عيشة للجمال ، والفن والالـ
ـهام والطهر ، والسنى والسجود
عيشة الناسك البتول يناجي الـ
ـرب في نشوة الذهول الشديد
وامنحيني السلام والفرح الرو
حي ياضوء فجري المنشود
وارحميني ، فقد تهدمت في كو
ن من اليأس والظلام مشيد
انقذيني من الاسى ، فلقد امـ
ـسيت لا استطيع حمل وجودي
وانفخي في مشاعري مرح الذ
يا وشدي من عزمي المجهود
انقذيني فقد سئمت ظلامي
انقذيني ، فقد مللت ركودي
وحياة شعرية هي عندي
صورة من حياة اهل الخلود
كل هذا يشيده سحر عينيـ
ـك والهام حسنك المعبود
وحرام عليك ان تهدمي ما
شاده حسنك المعبود
منك نرجو سعادة لم نجدها
في حياة الورى ، وسحر الوجود
فالاله العظيم لا يرجم العبـ
ـد اذا كان في جلال السجود

خواطر

هل لأدب في بلادنا مايستحق من الرعاية

بقلم : المحامي غالب رفعة العظم

سؤال طالما طرحته على نفسي ، وطرحه الادب على الواقع ، وليس ثمة من جواب .

ليس في وسع احد انكار دور الادب في تحضير الامم ورقيها ، كما ليس في وسع احد تجاهل اهمية الادب في تهذيب المجتمع ، ولكن على علمنا بهذا او اعترافنا بذلك نواجه السؤال بكثير من الخجل والاستحياء .

نحن نعرف كما يعرف كل انسان ان الادب هو مرآة واقع الامة ولسانها المعبر ، وما من امة استطاعت ان تقدم نفسها للعالم بوجه ناصع الا من خلال آدابها .

وكم من امة طوتها عجلات التاريخ وبادت وانقرضت ولم يستطع التاريخ نفسه ان يغفل آثار أدبائها ومفكريها .

القضية اذن ـ قضية خلود امة ـ وبقاء امجاد .

وما دمنا نؤمن بهذه النظرية فما بالنا لا نلتفت لادبائنا الالتفاتة اللائقة ، ونكرمهم احياء قبل ان نكرمهم امواتا .

وما قيمة التكريم لمن اجتاز غمار هذه الحياة بقلب مليء بالآلام .

حادثتان متناقضتان مرتا بي غدوت بعدهما في حيرة من امري لا اعلم ماذا اقول .

ولعل من الخير ان اسردهما في هذه الخواطر العابرة لما فيهما من عبر ، ولما لهما من مغزى .

أما الاولى : فخلاصتها اني زرت المانيا منذ بضعة سنوات في رحلة خاصة . وكنت كأي غريب واي سائح اسعى لمشاهدة اكبر عدد ممكن من المشاهد .

فلم اترك متحفا او معرضا او مكتبة او جامعة او كنيسة أو أي مكان يسترعي الانتباه الا وارضيت رغبتي بمشاهدته . ومما قمت به في تلك الجولة زيارة بيتي الشاعرين الالمانيين (غوتيه) و (شيلر) في مدينة (وايمار) .

وكم كانت دهشتي عندما دخلت حجرة شاعر المانيا الراحل (غوتيه) وشاهدت المقعد الذي كان يجلس عليه والطاولة التي كان يجلس خلفها والقلم والمحبرة والاوراق التي كان يستعملها حتى القصاصات منها ما زالت في اماكنها .

وفي ركن قريب من اركان الحجرة مكتبة وفي ركن آخر ثيابه وقبعته .

كل ذلك دون ان تمتد له يد ، ودون ان ينقل من مكان الى آخر تحت حراسة دقيقة وخدمة منظمة .

وانتقلت من منزل غوتيه الى منزل الشاعر (شيلر) الذي لا يبعد سوى مسيرة ثلاث دقائق .

فلم ار عناية اقل ولا تنظيما اردأ . بل كل ماشاهدته في حجرة الشاعر الاول شاهدته في حجرة الشاعر الثاني .

ومما يجدر بالذكر ان المئات من الشعب الالماني

يحجون الى كلتا الحجرتين في كل يوم .

وقد اعجبت بوفاء الشعب الالماني لمفكريه وادبائه ، وما زالت تلك المشاهدات تحتل في ذهني محلا عظيما .

تلكم هي الحادثة الاولى .

اما الحادثة الثانية المناقضة لها فخلاصتها انني كنت في مدينة اللاذقية أثناء مهرجان الشعر الخامس. وحضرت مع من حضر ذلك المهرجان الرائع الذي تبارت فيه مجموعة من شعراء العربية .

والحق يقال اني سمعت شعرا في ذلك المهرجان جيده اكثر من رديئه وسررت جدا مما سمعت من نتاج عبقريات في وطننا الحبيب نحن اشد ما نكون بحاجة اليها .

فشكرت المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب الذي سن هذه السنة وعمل على اقامة المهرجانات الشعرية في كل عام .

وانتهى المهرجان واخذت اتتبع آراء النقاد فيه فلم اقرأ نقدا بريئا لاحد منهم ، ولا لمحت بريق انصاف في نقد ، بل على العكس كل ماقرأته مع الاسف الشديد هو من التهجم المؤلم والتهكم اللاذع وكأن هؤلاء النقاد قد تواصوا بتشويه سمعة المهرجان وكأنهم على عداء مع الحقيقة .

فأخذت أتساءل من المسؤول عن هذا .

الصحيفة التي نشرت النقد ام الناقد نفسه .

واني مع صرف النظر عن تحديد المسؤولية اعتقد ان مجرد النزوع الى التشاؤم في هذا المضمار لا يعود على الحركة الفكرية ولا على الوجدان الادبي بالخير.

ومن الغريب والمؤسف حقا اني لم أقرأ اعجابا لناقد بشيء في المهرجان .

فلو ان الناقد ــ سامحه الله ــ تحدث عن الجوانب المضيئة في المهرجان كما تحدث عن الجوانب المظلمة فيه لكان نقده اقرب الى العدل واجدر بالاهتمام .

ولكن كيف لي ان اقنع بنقده وقد سمعت في المهرجان نخبة طيبة من الشعراء .

كيف اقنع وقد سمعت محمد الحريري وعبد الكريم الكرمي ونديم عدي واحمد علي حسن وعدنان قيطاز وسليمان سليمان وحمدان الخير ومحمد سعيد مراد وعبد العزيز الخيمي وعبد الرحمن الحقي وسعاد محمد ونادية نصار وغيرهم من الشعراء المجيدين .

وما شأني بناقد خانته الدراية وفاتته المعرفة فراح ينادي بالويل والثبور وعظائم الامور متباكيا على الشعر منافحا عن اتجاه ادبي لسنا منه وليس منا .

اوليس هذا المهرجان للشعر العربي لا للشعر الاجنبي ؟ ؟ ؟

وهنا حق لي ان اقارن بين موقف الشعب الالماني من ادبائه وبين موقفنا نحن من ادبائنا .

وهل هناك من مجال للمقارنة ؟

وبعد . اود ان اهمس في آذان اخواني النقاد واوصيهم بالوجدان خيرا .

كما واني ارجو ان يلتفت المسؤولون في حكومتنا الرشيدة الى هذه النخبة الخيرة التي تسجل تاريخنا بما تنزفه من الهام .

حمص ٢٩ ــ ١ ــ ١٩٦٥

غالب رفعة العظم

مشكلة الحرية في رواية كولن ولسون

« ضياع في سوهو »

بقلم : حسين المسلخ

نجد في تصريح ولسون : القاعدة الاساسية التي يرتكز عليها كل سؤال هي : من أنا ؟

دليلا على أن اللامنتمي ما يزال يتخبط في عالمه الضيق ، هذا العالم الذي يمكن حصره داخل جدران سواء أكانت جدران الجسم أم جدران أخرى معه . وهذا العالم هو سوداوي بالفطرة ومؤلم ، غير أنه مع ذلك ضروري أو بكلمة أوفى لا يمكننا التخلص منه ، واننا لنجد تعليل ذلك في كتاب ولسون الاخير « ضياع في سوهو » .

هذا الكتاب الذي يطرح ويناقش — من خلال وقائع حياتية صادقة — معنى الحرية عند اللامنتمي بأشكاله ، فمثلا بطل القصة ، هذا الشخص الذي يؤكد دائما انه وجودي ، ويحاول باخلاص ان يجد حرية غير التي هو فيها ، الا انه يبوء بالفشل اذ ان الحرية التي هو سابح فيها ، ويبحث عنها ، أصبحت تشكل بمعنى من المعاني سجنا حزينا له ، انه يجب أن يأخذها — الحرية — كما يريدها لا كما يجدها « وتلك احدى معضلات اللامنتمي » . لذا فنحن نجده في اول الرواية يخطط لتلك الحرية التي يتصورها ، الا انه لو كان هناك شخص آخر له ميول معاكسة لميول هذا البطل ، قرأ تلك المخططات ، لوجد أنها تشبه سجنا قديما سحريا معلقا في الهواء ، الاشياء التي في داخله وما حوله لا تتغير ، انما تتحول ، وانه سيتساءل حتما: هل الحرية هي أن نذهب من البيت الى مكان ما ، ثم نعود منه في وقت يفرضه هو ولا نختاره نحن ؟

غير ان البطل اللامنتمي يجد في ذلك التخطيط أقصى ما يتمناه من حرية ، ولكنه للاسف لا يستطيع القيام بهذا التخطيط ، الا انه لم ييأس وحاول أن يجد الحرية في شيء آخر كالرحلات مثلا ، وهكذا يهيء نفسه ويحمل متاعه ، ثم يخرج من بلدته ، يدور في العالم .

وهنا يظهر المؤلف دفعة واحدة كل ما يضمره من سخرية ، فقد كان البطل أول الامر جنديا الا أنه طرد من الجندية ، لذا فهو حين كان يقوم برحلته تلك لابسا لباس الجنود يصادفه جنديان ، وهو بحالة مضحكة ، فقد كان ينام في كومة تبن ، وهذا ما جعل الجنديين يظنان بأنه هارب من الجندية ، فيقتادانه الى المحاكم ، وبعد مناقشات عديدة يفرج عنه ويرجع الى البيت مرة اخرى .

وهنا يقرر كضربة أخيرة ان يذهب الى لندن ليجرب الحرية هناك ، وبالفعل يذهب الى لندن ، ويبدأ فور وصوله في البحث عن الحرية ، وفي هذه المرة كان يبحث عن حرية « لا معينة ولا مخططة » . والمضحك حقا أن القارىء يلاحظ أن البطل مضطرب التفكير ، ولولا ذلك لخطط طريقا واحدا لحريته في لندن ، تلك المدينة التي تقتل الفرد .

والواقع أن هذه النقطة ، نقطة وصوله الى لندن ، تلقي عبئها على المؤلف ، اذ عليه — أي المؤلف — أن

يختار أنواع الحرية التي سيضطر بطله الى السير فيها، وأقول « سيضطر » دون غيرها من التعابير لسبب هو أننا جميع البشر أحيانا نأخذ الحرية التي تفرض علينا وليست التي نريدها تماما ، وعلى أية حال فقد وجد المؤلف طرقا ليتابع البطل طريقه فيها كانسان كما هو ، أي لا منتمي .

وسنحاول هنا أن نستخلص الحوادث الهامة في الرواية لنطبقها على مفهوم اللامنتمي للحرية .

ان من يقرأ تلك الرواية يجد أن البيت الذي يسكن فيه البطل في لندن سبب من الاسباب الهامة التي تجعله ينشط في البحث عن حريته الضائعة ، هذه الحرية التي تشبه موجة في البحر ، وهو في هذا البحر . ويلتقي البطل، بينما كان مرة يجلس في أحد المقاهي ، بشخص عجيب يتقن مهنتي الفن والتشرد في سوهو . وهذا الشخص الذي يدعى « جيمس » هو انسان ذو جاذبية سواء من ناحية الجنس اللطيف ، أو الخشن كهاري بطل الرواية مثلا .

لقد وقع هاري في حبائل جيمس منذ لقائهما الاول ثم بدأ يعيش ساعات من التشرد معه مجربا الحرية في ذلك الشكل مصغيا لتأكيد جيمس « في أي الحرية هي ما يستطيع الانسان ان يفعله » متناسيا حريته التي جاء يبحث عنها ، « الحرية الملتزمة » .

وفي احدى المرات يعرض جيمس على هاري ان يستقبله في بيته مع صديقة له فيقع هاري في حيرة شديدة ، اذ ان صاحبة البيت الذي يسكنه تحظر عليه ان ينام أحد في غرفته وخاصة النساء ، الا انه وبطريقة مضحكة يدخل جيمس والفتاة الى غرفته .

« وتكوم جيمس وفتاته فوق السرير ، محتجين بأن حرارة الموقد مرتفعة ، ففضلت ان اخرج الى مكان ما » .

وحين رجعت الى الغرفة رأيتهما ملتحفين بلحافي وتنورة الفتاة ملقاة على الارض » .

وبطريقة ما علمت صاحبة البيت بالامر ، فتدخل داخل الغرفة ، ان هذه الاثارة المتعمدة أصبحت (موضة) في الرواية الحديثة .

وبطريقة ما تعرفت صاحبة البيت بالامر ، فتدخل الغرفة كالصاعقة وتخاطبه بعد جمل بسيطة : « عليك أن تغادر هذا البيت في صباح هذا اليوم » .

ـ وتذكرني صاحبة البيت بحادثة جرت مع البطل في اول الرواية سهوت عن ذكرها ، هذه الحادثة هي اشتغال هاري في حفر الخنادق غير أن هذه الحادثة ـ حفر الخنادق ـ ليست مهمة بقدر ما أمامنا من حوادث .

يخرج هاري وصديقه والفتاة من البيت حاملين امتعته ويجلسون في أحد المقاهي . ويبدأ هاري منذ تلك اللحظة يعيش حياة التشرد كاملة، فيضع أمتعته أمانة في احدى المحطات ، ثم يعود الى جيمس ، يبحث معه في شوارع سوهو ، ويعرفه جيمس على اشخاص كثيرين وتساعده ايضا مصادفات على التعرف بأشخاص آخرين غير الذين عرفه عليهم جيمس ومن هؤلاء الاشخاص ، شخص صاحب مجلة ثقافية دينية . وبعد محادثات بين هاري وصاحب المجلة يعطيه هذا الاخير عشرة جنيهات كجزء من راتبه اذا عمل عنده في المجلة ، ويأخذ هاري النقود بعد معارضة بسيطة ، وقد كان قد صرف أكثر نقوده على الكتب ، فهو مثقف ويريد أن يؤلف كتابا او كتبا لتنشر ، صحيح أنه قد ألف من قبل كتبا كثيرة غير انه لم يستطع نشرها لعدم صلاحيتها .

وتقودنا احداث الرواية بعد ذلك مؤكدة ضياع البطل في هذا الخضم ، ومظهرة أن الفرد ليس ذا قيمة تذكر في مدينة كلندن .

ان الحرية المطلقة ما هي في الحقيقة سوى فوضى وقتل للقيم ، انها تظهرنا كالحشرات العائمة على وجه الحياة ليس لنا طريق هنا الى الخارج أو الى الداخل أو